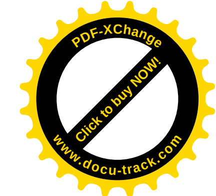



سلسلة وتواصوا بالحق

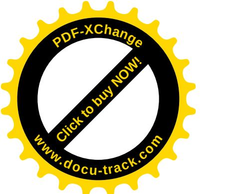
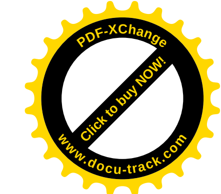
تسديد اللسان (٢)

تسديد اللسان
بنور السنة وهدى القرآن

تأليف

د/عبد الواسع بن يحيى بن محمد المعـــز بـــي

عضو هيئة التدريس بجامعة الإيمان

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

أما بعد : فإن اللسان من أعظم نعم الله على البشر، وقد بين الله ورسوله ماهي الأغراض الشرعية من خلق اللسان، وحذرنا الله ورسولهﷺ من شرور هذا اللسان، ولذلك فقد قسمتُ هذا البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول : نعمة اللسان وبعض علامات عظمة الخالق في اللسان.

الفصل الثاني : ماهي أهم وظائف اللسان في دين الإسلام.

الفصل الثالث : ماهي أهم آفات اللسان التي يجب الحذر منها.

مع العلم أني اختصرت اختصاراً بالغاً إذ خير الكلام ما قل ودل، وتوفيرا لوقت القارئ فلا أذكر جميع النصوص في الموضوع، ولا أخرج الحديث من جميع المصادر، ولكن اكتفي بإخراج النص من الصحيحين أو أحدهما أو غيرهما مع الإشارة إلى صحته، ومن صححه إذ الغرض ثبوت مايفيد العمل، وأذكر بعض عبارات الشُّراح التي لاغنى عنها لفهم النص وبالله التوفيق .

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠،٧١.

الفصل الأول

نعمة اللسان وبعض دلالات عظمة الخالق فيه

المبحث الأول

فيما يتعلق بنعمة الطعم والتذوق

إن نعم الله على بني آدم لايحصيها إلا هو سبحانه وتعالى ومن النعم العظيمة التي امتن الله بها نعمة اللسان فقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ﴾[(١)]

قال الإمام الطبري :

(يقول تعالى ذكره: ألم نجعل لهذا القائل﴿ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا ﴾ [(٢)] عينين يبصر بهما حجج الله عليه، ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد،وشفتين نعمة منا بذلك عليه، وقال قتادة : نِعَم من الله متظاهرة، يقرِّرك بها كيما تشكرَه)[(٣)].

وقد جعل الله اللسان من آياته العظيمة الدالة على قدرته، وبديع صنعه، وذكره معطوفا على السماوات والأرض،و هي مخلوقات عظيمة فقال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [(٤)]

وإليك أخي القارئ هذه المعلومات الطبية التي تتحدث عن اللسان، وحاسة التذوق، وعلاقته بالنطق، وهذه مقتطفات من كلام المختصين:

(يتكون اللسان من آلاف الألياف العصبية التي تتخللها جزر صغيرة من الخلايا الدهنية وتسري في هذه الأنسجة الشرايين والأوردة التي تنشط العضلات .

<u>نعمة التذوق في اللسان :</u>

إن براعم التذوق في اللسان هي الأعضاء الخاصة التي خلقها الله لعملية التذوق، وقد جعلها الله في اللسان، وفي الحنك الصلب، وقد خلق الله للإنسان ١٠,٠٠٠ برعم تذوقي [تقريباً] طول الواحدة ٧٠ أنجستروم وعرضها حوالي ٣٠ أنجستروم انظر :

الشـــــــــــــــــــــــــــــــــــكل (١)

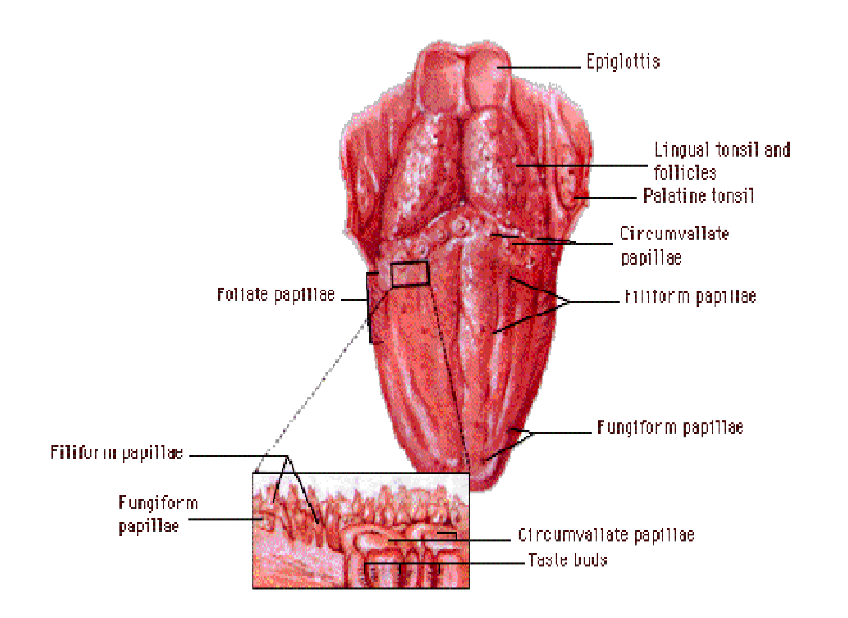
---

(١) سورة البلد : ٨،٩.

(٢) سورة البلد : ٦.

(٣) انظر: جامع البيان(٢٤/ ٤٣٧) باختصار .

(٤) سورة الروم : ٢٢.



بـــــــــــــــــــــــــــــــــــــراعم التـــــــــــــــــــــــــــــــــــــذوق:

هي الأعضاء الخاصة بعملية التذوق والتي توجد في اللسان والحنك الصلب، ويوجد في الإنسان ١٠,٠٠٠ برعم تذوقي طول كل برعم ٧٠ أنجستروم وعرضها حوالي ٣٠ أنجستروم وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع من الخلايا .

وهي تتكون من ٣ أنواع من الخلايا:

١- خلايا التذوق.

٢ . خلايا مدعمة.

٣ . خلايا متدرجة

خلايا التذوق:

تحمل في نهايتها شعر، وهو الخاص بعملية التذوق، ويتصل هذا الشعر من الناحية الأخرى بأعصاب تصل إلى المخ.



براعم التذوق في لسان الإنسان

أنواع الإحساس بالتذوق:

تذوق المادة الحلوة:

يحدث هذا في قمة اللسان وهي تحدث بسبب مركبات عضوية مثل السكر والكحول.

تذوق المادة المالحة:

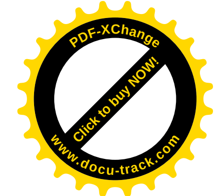
يحدث هذا على جانبي اللسان من جهة الأمام، ومن المواد التي تحدث هذا الشعور: اليود.

تذوق المادة المرة:

يحدث هذا في نهاية اللسان والحنك ومن المواد التي تحدث مثل هذا التأثير الكوينين وأملاح الصفراء وأملاح الأمونيوم.

تذوق المادة الحامضة:

يحدث هذا على جانبي اللسان والحنك ومن المواد التي تسبب مثل هذا الإحساس الأحماض وأملاحها.

<u>**العوامل التي تؤثر في عملية التذوق:**</u>

هناك الكثير من العوامل التي تؤثر على عملية التذوق من أهمها:

. تركيز المادة المتذوقة.

. مساحة اللسان المتأثرة.

. تباين المواد المتذوقة واختلافها عن المواد التي قبلها مثل تناول السكر بعد مادة مالحة يزيد من عملية التذوق.

. درجة الحرارة تؤثر على عملية التذوق.

. عملية التأقلم مع المادة الممتصة.

. توجد كذلك عوامل شخصية (١)

فانظر أخي وفقك الله إلى هذا التوزيع الدقيق المنضبط الذي يدل على خالق خبير لطيف كريم سبحانه وبحمده فهلا شكرنا نعمته ، وتصور فقدان نعمة التذوق لأنواع الطعام، وكيف تشعر عندما تصاب لسانك بلفحة من شراب ساخن !!

وأما عصب اللسان فإليك أخي القارئ هذه الفائدة بعنوان:

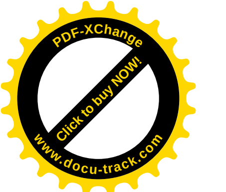
(حكمة تشريحية في عصب اللسان)

(في تعصيب اللسان ، توصل علماء التشريح إلى أن الحليمات الذوقية في الثلث الأخير من اللسان تتعصب بالعصب البلعومي اللساني أما في الثلثين الأمامي فيتعصبان بشعبة عصبية تأتي من العصب الوجهي السابع و تسمى هذه الشعبة بعصب الطبل .

و أن الألياف الذوقية في العصب البلعومي اللساني و الألياف الذوقية في حبل الطبل تنشأ جميعها من نواة واحدة في الدماغ هي النواة المنفردة و قد فكر في سر ذلك علماء العصر ، فانتهوا إلى القول أن عصب حبل الطبل هو عصب تائه لأنه قد ضل طريقه فهو عصب ذوقي نشأ في النواة الذوقية التي نشأ منها العصب التاسع البلعومي اللساني و لكنه لم يسر

---

(١) انظر : موسوعة جسم الإنسان(١/ ٦٧، ٧١) تأليف : دكتورة/ زينب منصور حبيب - الناشر: دار الإسراء للنشر والتوزيع - عمان – الأردن - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، وبعض هذه المعلومات حصلت عليها بواسطة مركز البحوث التابع لجامعة الإيمان.

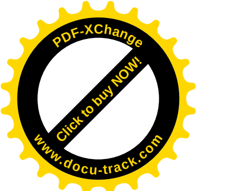
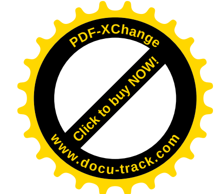



معه بل طاف طويلاً فخرج مع العصب الوجهي ، ثم دخل عظم الصخرة و الأذن الوسطى ، ثم اتبع طريق العصب اللساني ليحمل إلى مقدم اللسان حس الذوق .

لقد قال من رأوا نصف العلم أن هذا الطريق الطويل الذي سلكه العصب التائه هو خطأ في التكوين و لكن الله سبحانه و تعالى جعل العلماء يكتشفون سراً جديداً ، فقد كان في مرور العصب المذكور داخل الأذن الوسطى على الوجه الباطن لغشاء الطبل و مرافقاً للرباط الطبلي الكعبي الخلفي فالأمامي حكمة بالغة في خلق الإنسان و تحقيقاً لأمر آخر و لم يكن من باب ضلال الطريق ، ذلك أنه إذا نقص الضغط الجوي داخل الأذن الوسطى ، انجذب غشاء الطبل نحو الداخل و ضغط على هذا العصب و يؤدي هذا الانضغاط إلى تنبيه الألياف الذوقية التي يحملها فيؤدي ذلك لإفراز اللعاب من الغدد اللعابية وهذا يوجب على الإنسان أن يبتلع لعابه ، و بعملية البلع هذه تنفتح الفوهة البلعومية للنفير السمعي (نفير اوستاش) فيدخل الهواء للأذن الوسطى و يتعادل الضغط داخل و خارج غشاء الطبل ، فيعود لوضعه الطبيعي و يزول انضغاط العصب التائه ويتوقف إفراز اللعاب و هكذا دواليك ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ انتهى باختصار يسير [١]

---

(١) انظر: كتاب الطب محراب الإيمان- تأليف: خالص جلبي، وكتاب مع الطب في القرآن الكريم- تأليف الدكتور عبد الحميد دياب و الدكتور أحمد قرقوز، و بحث الدكتور أبو الخير الخطيب حضارة الإسلام السنة العشرون ، وبعض هذه المعلومات حصلت عليها بواسطة مركز البحوث التابع لجامعة الإيمان، وبعض مواقع الانترنت .

المبحث الثاني
فيما يتعلق بنعمة البيان والكلام

امتن الله سبحانه وتعالى بنعمة البيان فقال تعالى ﴿الـرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَـقَ الإِنسَـانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (١)، قال أبو حيان رحمه الله تعالى:(ولما عدّد نعمه تعالى ، بدأ من نعمه بما هو أعلى رتبها ، وهو تعليم القرآن ، إذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك بـه، ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكْر الُمعَلّم ، ذكره بعدُ في قوله : ﴿خلق الإنسان ﴾ ، ليعلم أنـه المقصود بالتعليم ولما كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن ، كان كالسبب في خلقه تقدّم على خلقه ، ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز بـه الإنسان من المنطق المفصح عن الضمير ، والذي بـه يمكن قبول التعليم ، وهو البيان ألا ترى أن الأخرس لا يمكن أن يتعلم شيئاً مما يدرك بالنطق؟) انتهى كلامه(٢).

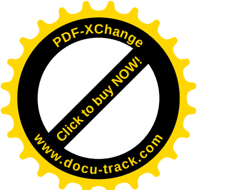
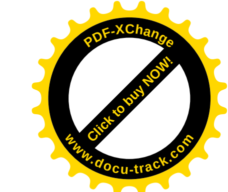
ومعلوم لـدى الجميع أن اللسانَ تشترك مع الحبالِ الصوتية والمخ في ضبط الحروف، والكلمات للتعبير عما في النفس، وبلغات مختلفة، وللمختصين في هذا كلام طويل.

وما أحسن تعبير سيد قطب - رحمه الله- عند هذه الآية حيث يقول:(إن تكوين جهاز النطق وحده عجيبة لا ينقضي منها العجب! اللسان! والشفتان! والفك! والأسنان! والحنجرة! والقصبة الهوائية، والشعب، والرئتان . . إنها كلها تشترك في عملية التصويت الآلية، وهي حلقة في سلسلة البيان ، وهي على ضخامتها لا تمثل إلا الجانب الميكانيكي الآلي في هذه العملية المعقدة ، المتعلقة بعد ذلك بالسمع والمخ والأعصاب، ثم بالعقل الذي لا نعرف عنه إلا اسمه ، ولا ندري شيئاً عن ماهيته وحقيقته ، بل لا نكاد ندري شيئاً عن عمله وطريقته! كيف ينطق الناطق باللفظ الواحد؟ إنها عملية معقدة كثيرة المراحل والخطوات والأجهزة ، مجهولة في بعض المراحل خافية حتى الآن ، إنها تبدأ شعوراً بالحاجة إلى النطق بهذا اللفظ لأداء غرض معين ، هذا الشعور ينتقل - لا ندري كيف - من الإدراك أو العقل أو الروح إلى أداة العمل الحسية . . المخ . . ويقال : إن المخ يصدر أمره عن طريق الأعصاب بالنطق بهذا اللفظ المطلوب ، واللفظ ذاته مما علمه الله للإنسان وعرفه معناه ، وهنا تطرد الرئة قدراً من الهواء المختزن فيها ، ليمر من الشُّعبِ إلى القصبة الهوائية إلى الحنجرة وحبالها الصوتية العجيبة

---

(١) سورة الرحمن : ١- ٤.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٠/ ١٨٧.

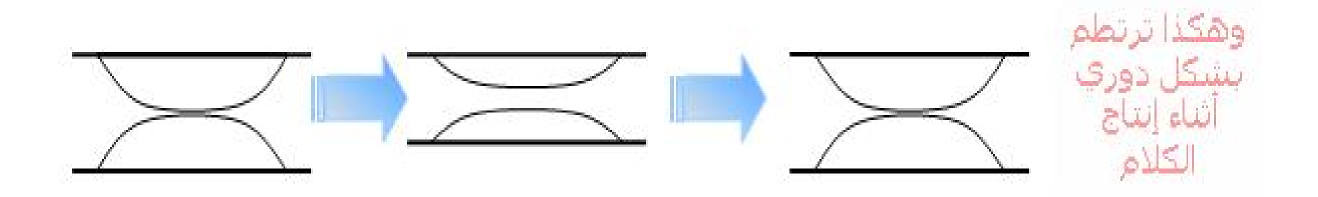
التي لا تقاس إليها أوتار أية آلة صوتيه صنعها الإنسان ، ولا جميع الآلات الصوتية المختلفة الأنغام! فيصوت الهواء في الحنجرة صوتاً تشكله حسبما يريد العقل . . عالياً أو خافتاً . سريعاً أو بطيئاً . خشناً أو ناعماً ، ضخماً أو رفيعاً . . إلى آخر أشكال الصوت وصفاته ، ومع الحنجرة اللسان والشفتان والفك والأسنان ، يمر بها هذا الصوت فيتشكل بضغوط خاصة في مخارج الحروف المختلفة ، وفي اللسان خاصة يمر كل حرف بمنطقة منه ذات إيقاع معين ، يتم فيه الضغط المعين ، ليصوّت الحرف بجرس معين . . وذلك كله لفظ واحد . . ووراءه العبارة ، والموضوع ، والفكرة ، والمشاعر السابقة واللاحقة ، وكل منها عالم عجيب غريب ، ينشأ في هذا الكيان الإنساني العجيب الغريب ، بصنعة الرحمن ، وفضل الرحمن ، حيث تتجلى دقة التقدير ، في تنسيق التكوين والحركة ، بما يملأ القلب روعة ودهشة ، شعوراً بضخامة هذه الإشارة ، وما في طياتها من حقائق بعيدة الآماد عميقة الأغوار)[١] انتهى كلامه.

واكتفي بهذه العبارات التي تذكر بنعمة البيان في اللسان .

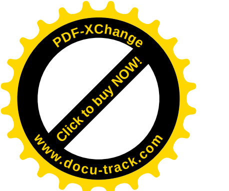
وإليك أخي القارئ بعض المعلومات الطبية والأشكال التوضيحية لعملية النطق:

للحبال الصوتية ثلاث حالات :

الحالة الأولى : هي الحالة العادية وتكون فيها الحبال الصوتية مغلقة تماما أثناء الصمت ثم عند ضغط الهواء القادم من الرئتين ترتطم الحبال الصوتية ببعضها لتكون طنينا ينتج عنه الصوت .انظر الشكل (٢)



(١) انظر: ظلال القرآن (٦/ ٣٤٤٧) تأليف :سيد قطب الناشر: دار الشروق – القاهرة – بيروت – الطبعة .




الحالة الثانية: عند ما تكون الحبال الصوتية مفتوحة قليلا عن بعضها البعض تنتج أصوات خفيفة ليست مسموعة تماما بسبب أنها عند ارتطامها يكون الاهتزاز خفيفا بسبب المسافة بين الحبال الصوتية .

الحالة الثالثة : هي كون الحبال الصوتية مفتوحة بشكل كبير أي تكون المسافة بينها واسعة وهذه تحدث أثناء التنفس حيث يسبب انفتاحها الواسع مرور الهواء بينها دون عمل اهتزاز على الحبال الصوتية ولا ينتج صوت حينها.

وعندما يكون الشخص لديه التهاب في الحبال الصوتية فإن ذلك يؤدي إلى زيادة سمكها وبالتالي تقل المسافة بين الحبال الصوتية فيضيق مكان مرور الهواء فيها وبالتالي عند تنفس الشخص ينتج صوت ملحوظ للنفس أثناء التنفس. انظر الشكل رقم (٣)



وقد يقول قائل هل هناك عوامل أخرى تؤثر في قوة الصوت ؟

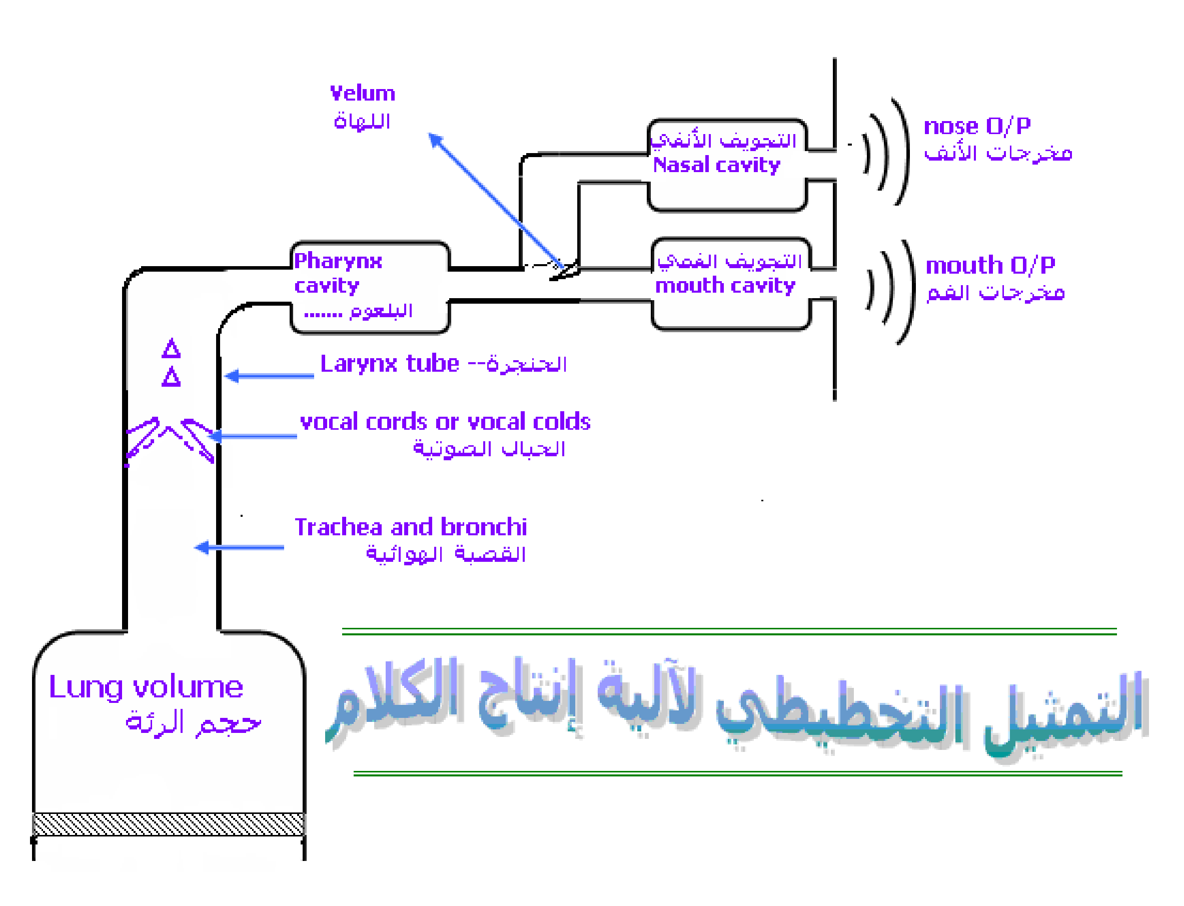
والجواب: نعم هناك عوامل تؤثر في قوة الصوت:

العامل الأول : طول الحبال الصوتية: حيث أنه كلما قصرت الحبال الصوتية كان التردد فيها أعلى.

العامل الثاني : كتلة الحبال الصوتية حيث أنه كلما كانت الكتلة كبيرة يكون التردد أقل والعكس صحيح.

العامل الثالث: مقدار الشد في الحبال الصوتية حيث يزداد التردد كلما زاد الشد في الحبال الصوتية، وأما التردد الناتج عن اهتزاز الحبال الصوتية فيتراوح بين[٦٠-٤٠٠]هرتز حيث يبلغ متوسط التردد في الحبال الصوتية عند الرجال البالغين [١٨٠] هرتز وعند النساء البالغات [١٠٠] هرتز.

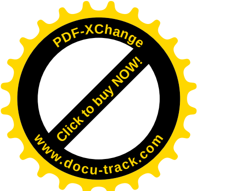
وإليك هذا الشكل رقم (٤) الذي يبين نعمة إنتاج الكلام :

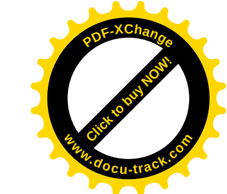


نلاحظ أن حجم الرئة يتناسب مع حجم الهواء الذي يكون بداخلها)[١]

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من مركز البحوث التابع لجامعة الإيمان وقد تم الحصول عليها من بعض مواقع الانترنت المتخصصة في هذه البيانات .





الفصل الثاني

أهم عبادات اللسان في شريعة الإسلام

أولا: نطق كلمة التوحيد :

شرف الله اللسان من بين سائر الجوارح بكلمة التوحيد وهي أعظم شعب الإيمان كماقال ﷺ: ﴿الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِن الإيمَانِ﴾[1].

وقال ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَدْخُلْ النَّارَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَقَالَ مَرَّةً: دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ)[2].

هذا فضل كلمة (لا إله إلا الله) في الحياة،و أما في الممات فقد قال ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[3].

وقال تعالى ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[4].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : (أي يثبتهم على الحق بالقول الثابت وهو شهادة أن لاإله إلا الله) [5].

ثانيا : الدعوة إلى الله :

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[6]

---

(١) أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ بيان عدد شعب الإيمان ١/ ١٤٠ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد في المسند ٤١/٤٥ وصححه الألباني في الصحيحة ٥/ ٣٥٤ رقم ٢٣٥٥ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وله طرق وألفاظ متقاربة بمعناه عن أنس وأبي سعيد وأبي هريرة رضوان الله عليهم أجمعين .

(٣) حديث صحيح : أخرجه أبو داود في السنن ك/ الجنائز ب/ في التلقين ٨/ ٣٧٥ وصححه الألباني في إرواء الغليل ٣/ ١٤٩ ومشكاة المصابيح ١/ ٣٦٦ عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٤) سورة إبراهيم : ٢٧.

(٥) انظر: زاد المسير ١/ ٧٤٦ .

(٦) سورة فصلت : ٣٣.

وقال تعالى﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾[١] وقال ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)[٢] وقال تعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣] وفي الحديث الصحيح الترغيب بدعوة الناس إلى الهدى قال ﷺ :(مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) [٤].

والمقصود بالهدى -والله أعلم- كل عبادة وخير ومعروف أمر به الإسلام .

ثالثا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٥].

وفي البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:(مثلُ المُدْهن في حدودِ اللهِ والواقعِ فيها مثلُ قومٍ استهموا سفينةً فصار بعضُهم في أسفلِها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالكَ ؟ قال : تأذيتم بي ولابد لي من الماء ، فإن أخذوا على يديه أنْجوهُ ونجّوا أنفسَهمْ وإنْ تركوهُ أهلكوهُ وأهلكُوا أنفسَهُمْ)[٦]

و المُدَاهنةُ: بضم الميم من داهن، تركُ إنكار المنكر إجلالا لصاحبه وتقربا منه[٧].

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٥و٤٦ .

(٢) أخرجه البخاري ك/ التفسير ب/ ما ذكر عن بني إسرائيل ١١/ ٢٧٧ رقم ٣٢٠٢ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

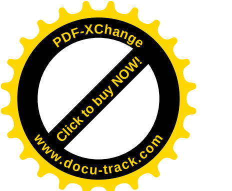
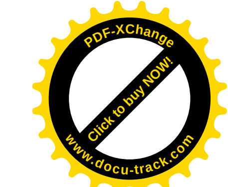
(٣) سورة الشعراء : ١٦.

(٤) أخرجه مسلم ك/ القدر ب/ من سن سنة حسنة أو سيئة ١٣/ ١٦٤ رقم ٤٨٣١ عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) سورة آل عمران : ١٠٤.

(٦) أخرجه البخاري ك/ الشهادات ب/ القرعة في المشكلات ١/ ٤٣٨ رقم ٢٦٨٦ وك/ الشركة ب/ هل يقرع في القسمة ١/ ٤٠٣ رقم ٢٤٩٣ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٧) معجم لغة الفقهاء ١/ ٤١٨ .

أقول : وفي الحديث الإخبار بالهلاك المحقق لمجتمع لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر .
وقال ﷺ (أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍ عندَ سلطانٍ جائرْ)[١].

قال الأحوذي في شرح سنن الترمذي :

(قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَإِنَّمَا صَارَ ذَلِكَ أَفْضَلَ الْجِهَادِ؛ لأَنَّ مَنْ جَاهَدَ الْعَدُوَّ كَانَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ لا يَدْرِي هَلْ يَغْلِبُ أَوْ يُغْلَبُ،وَصَاحِبُ السُّلْطَانِ مَقْهُورٌ فِي يَدِهِ فَهُوَ إِذَا قَالَ الْحَقَّ وَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلتَّلَفِ ، وَأَهْدَفَ نَفْسَهُ لِلْهَلاكِ ، فَصَارَ ذَلِكَ أَفْضَلَ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ مِنْ أَجْلِ غَلَبَةِ الْخَوْفِ ، وَقَالَ بعضهم : وَإِنَّمَا كَانَ أَفْضَلَ لأَنَّ ظُلْمَ السُّلْطَانِ يَسْرِي فِي جَمِيعِ مَنْ تَحْتَ سِيَاسَتِهِ وَهُوَ جَمٌّ غَفِيرٌ ، فَإِذَا نَهَاهُ عَنْ الظُّلْمِ فَقَدْ أَوْصَلَ النَّفْعَ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ بِخِلافِ قَتْلِ كَافِرٍ)[٢].

تنبيه هام : من آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الرفق والعلم ومن شروط الإنكار أن لايؤدي إلى ما هو أكبر منه من المنكرات .

وأما من تكلم بين يدي سلطان ظالم فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ذلك السلطان الظالم فهو من سادات الشهداء عند الله تعالى هذا بعض ماذكره أهل العلم في هذا الباب باختصار .

رابعاً : تلاوة القرآن :

قال تعالى ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدا﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٤] وعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ :

---

(١) حديث صحيح : أخرجه النسائي ك/ البيعة ب/ فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر ١/ ٤٤٢عن طارق بن شهاب رضي الله عنه والترمذي ك/ الفتن ب/ ماجاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ١/ ٣٦١ رقم ٢١٧٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.وأبو داود ك/ الملاحم ب/ الأمر والنهي ١/ ٤٧٤ رقم ٤٣٤٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢/ ٢٨٤ رقم ٢٣٠٦و٢٣٠٧ عن أبي أمامة وطارق بن شهاب رضي الله عنهما .

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٥/ ٤٦٦ باختصار وتصرف يسير .

(٣) سورة الكهف : ٢٧.

(٤) سورة العنكبوت :٤٥.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ) [١] قَالَ مُعَاوِيَةُ[أحدالرواة] بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ ، قال ابن الأثير: الغيايةُ كلُّ شيءٍ أظلَّ الإنسانَ فوقَ رأسِه[٢] وقال ﷺ (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)[٣].

خامسا : الذكر والتسبيح :

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٤] وقال تعالى ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [٥] وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا: بَلَى قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى) [٦]

سادسا:الاستغفار:

قال تعالى على لسان سيدنا نوح ﷺ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ [٧] وقال تعالى ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم ك/ صلاة المسافرين ب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٤/ ٢٣١ عن أبي أمامة ﷺ.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٧٦٠ .

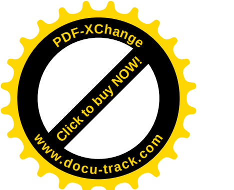
(٣) أخرجه الترمذي ك/ فضائل القرآن ب/ ماجاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ١/ ٤٦٤ رقم ٢٩١٠ عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) سورة الأحزاب : ٤١- ٤٢.

(٥) سورة الإنسان : ٢٥.

(٦) حديث صحيح : أخرجه الترمذي ك/ الدعوات ب/ فضل الذكر ١/ ٥٣٤ رقم ٣٣٧٧ وأحمد في المسند ٤٤/ ١٨٢ و٤٥ / ٥٨و٥٦/ ٥٨ والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٧٢ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢/ ٩٦ ومشكاة المصابيح ٢/ ١١ جميعهم عن أبي الدرداء ﷺ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٨٩ عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٧) سورة نوح : ١٠ .




تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [١]

وأفضل صيغة للاستغفار هي ماورواه البخاري عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال : (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُك وَأَنا عَلَى عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْتُ أَعوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوء لَك بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِر لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ) [٢] وفضل الاستغفار معلوم، والاستكثار منه محمود، ولا يجهل هذا أحد .

سابعا : القول الحسن :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ ﴾ [٣].

قال في الكشاف -في معنى قولا حسنا -: قولواقولاً هو حسنٌ في نفسه لإفراط حُسنه[٤].

وقال تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾ [٥].

قال ابن الجوزي رحمه الله :

واختلفوا فيمن تقال له هذه الكلمة على قولين :

الأول : للمشركين يقال له يهديك الله .

والثاني : أنهم المسلمون والمعنى : وقل لعبادي يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة[٦].

---

(١) سورة هود : ٣.

(٢) أخرجه البخاري ك/ الدعوات ب/ أفضل الاستغفار ١٩/ ٣٦٣ عن شداد بن أوس ﷺ.

(٣) سورة البقرة : ٨٣.

(٤) تفسير الكشاف ١/ ٨٤ .

(٥) سورة الإسراء:٥٣.

(٦) باختصار وتصرف من زاد المسير ١/ ٨١٧.

ثامنا : التناجي بالصدقة والمعروف وتأليف ذات البين :

قال تعالى ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾(١)

ماهي النجوى ؟ قال أبو حيان رحمه الله :

(النجوى مصدر كالدعوى يقال : نجوتُ الرجلَ أنجوه نجوى إذا ناجيتَه ، قال الواحدي : ولا تكون النجوى إلا بين اثنين، وقال الزجاج : النجوى ما انفرد به الجماعة، أو الإثنان سرّاً كان أوظاهراً انتهى ، وقال ابن عطية في معنى النجوى : المُسارّة ، وتطلق النجوى على القوم المتناجين ، وهو من باب قوم عدل وصف بالمصدر ، وقال الكرماني : نجوى جمع نجي)(٢)

ثم تكلم عن المعنى فقال :

فالتقدير : لكن مَن أمر بصدقة فالخير في نجواه .

ومعنى أمر : حث وحض ، والصدقة تشمل الفرض والتطوّع ، والمعروف: عام في كل بر ، واختاره جماعة منهم أبو سليمان الدمشقي ، وابن عطية فيندرج تحته الصدقة والإصلاح لكنهما جردا منه، واختصا بالذكر اهتماماً ، إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد، وعطف بأو فجعلا كالقسم المعادل مبالغة في تجريدهما(٣).

أقول : ومن أمثلة التناجي بالصدقة والمعروف أن يلتقي اثنان أو ثلاثة فيتذكرون أخا من إخوانهم مريض فيعودونه، أو فقير فيواسونه ويعينونه على كسب رزق حلال، أو يتذكرون بعض إخوانهم بينهم خصومة وعداوة فيتفق هؤلاء على إصلاح ذات بينهم فإن أخلص هؤلاء في عملهم فأجرهم عند الله عظيم، وما يقال في حق الأفراد يقال في حق المجتمعات والشعوب والله الموفق .

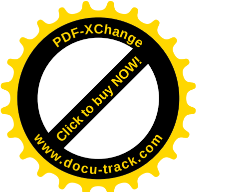
تاسعا : القول السديد :

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (٤)

ما معنى القول السديد؟

---

(١) سورة النساء : ١١٤.
(٢) البحر المحيط: ٤/ ٢٦٥.
(٣) نفس المصدر : ٤/ ٦٦.
(٤) سورة الأحزاب : ٧٠.




قال صاحب الكشاف عند هذه الآية :﴿ قَوْلاً سَدِيداً ﴾ قاصداً إلى الحق والسّدَادُ : القصدُ إلى الحق ، والقول بالعدل، يقال : سدّد السهم نحو الرمية : إذا لم يعدل به عن سمتها ، كما قالوا : سهم قاصد ، والمراد : نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول ، والبعث على أن يسد قولهم في كل باب؛ لأنّ حفظَ اللسانِ وسدادَ القولِ رأسُ الخيرِ كله .

والمعنى : راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة : من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها]انتهى كلامه(١)

عاشرا : الدعاء :

قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٢) وفي الحديث (الدعاء هو العبادة)(٣)، وفي الحديث القدسي : (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِ ي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)(٤).

العبادة الحادية عشرة : التناصح بطاعة الله والصبر عليها والتناصح بالبعد عن معصية الله والتوبة منها :

قال تعالى ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٥)

وإليك بعض ما قاله أئمة التفسير :

---

(١) انظر: تفسير الكشاف ١/ ٨٦٦.

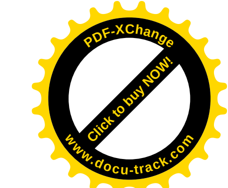
(٢) سورة غافر : ٦٠.

(٣) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ك/ ب/ الدعاء ٤/ ٢٧٨ والترمذي ك/ التفسير ب/ ومن سورة البقرة ١٠/ ٢٢٩ وب/ ومن سورة المؤمن وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢/ ١٢٧ والسلسلة الصحيحة ٦/ ١٥٣ رقم ٢٦٥٤ جميعهم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٤)صحيح مسلم ك/ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ب/ تحريم الظلم ٤٥٥/١٢ عن أبي ذر رضي الله عنه .

(٥) سورة العصر : ١ :٣. .





قال الإمام الطبري رحمه الله: (قوله تعالى﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه، وقوله:﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله)[١].

وقال ابن كثير رحمه الله : (﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر)[٢].

وقال أبو حيان رحمه الله :

(﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ في طاعة الله تعالى ، وعن المعاصي)[٣].

وقال الشوكاني رحمه الله : (﴿ وَتَوَاصَوْا بالحق ﴾ أي : وصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به ، وهو الإيمان بالله ، والتوحيد ، والقيام بما شرعه الله ، واجتناب ما نهى عنه ، قال قتادة : ﴿ بالحق ﴾ ، أي : بالقرآن ، وقيل : بالتوحيد ، والحمل على العموم أولى ، ﴿ وَتَوَاصَوْا بالصبر ﴾ أي : بالصبر عن معاصي الله سبحانه ، والصبر على فرائضه ، وفي جعل التواصي بالصبر قريناً للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره ، وفخامة شرفه ، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه)[٤].

<u>العبادة الثانية عشرة : الحض والتحريض على طعام المسكين :</u>

من وظائف اللسان العظيمة حض الناس على طعام المسكين كما قال تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ لا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [٥]

يقول الإمام ابن جرير رحمه الله :

(يقول تعالى ذكره مخبرا عن هذا الشقيّ الذي أوتي كتابه بشماله: إنه كان في الدنيا لا يحضُّ الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة)[٦].

ومعنى المسكين : كما يقول ابن الأثير رحمه الله:

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٥٩٠ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٤٨٠.

(٣) انظر: البحر المحيط: ١١/ ١٩.

(٤) انظر: فتح القدير: ٨/ ٥٦.

(٥) سورة الحاقة : ٣٣و٣٤ .

(٦) انظر: جامع البيان للطبري: ٢٣/٥٩٠ .

(تكرر في الحديث ذكر المسكين والمساكين والمسكنة وكلها يَدُورُ معناها على الخُضوع والذِّلة وقلَّة المالِ والحَال السَّيئة ، واسْتَكَان إذا خَضَع ، والمَسْكَنةُ : فقْر النَّفس ، وتَمَسْكَنَ إذا تَشَبَّه بالمساكين و المِسكين هو الذي لا شيء له ، وقيل : هو الذي له بَعضُ الشيء وقد تَقَعُ المسْكَنةُ على الضَّعف)[1].

العبادة الثالثة عشرة : إفشاء السلام :

إن من أعظم وظائف اللسان نشر المودة في المجتمع المسلم، وذلك بإفشاء السلام على الكبير، والصغير من المسلمين فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: **(أَنَّ رجلاً سأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)**[2]، والسلام عنوان الأخوة وباب المحبة والجنة كما قال ﷺ : **(لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُواو لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا وَ لا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ)**[3]. وأما الثواب على السلام فمعلوم والمقصود هنا التذكير فقط والله الموفق .

الرابعة عشرة : تعليم الكتاب والسنة وعلومهما :

قال تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[4].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : **(إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًاو لا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا)**[5].

أقول : ومعنى قوله ﷺ: **(مُعَنِّتًا ولامُتَعَنتًا)**: إن الله لم يبعثني لأجل المشقة على الناس ولستُ أنا ممن يحب المشقةَ والعنتَ والله أعلم، قال ابن منظور:(العَنَتُ : دُخُولُ المَشَقَّة على الإِنسان،ولقاءُ الشدَّةِ يقال: أَعْنَتَ فلانٌ فلاناً إِعناتاً إِذا أَدْخَل عليه عَنَتاً أَي مَشَقَّةً)[6].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر ٢/ ٩٧١ و٣/ ٨٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ إفشاء السلام من الإسلام ١/ ٨ رقم ٢٨ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ بَيَانِ أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلامِ سَبَب لِحُصُولِهَا ١/ ١٨٠ رقم ٨١ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سورة المائدة : ٦٧.

(٥) أخرجه مسلم ك/ الطلاق ب/ بيان أن تخيير الرجل امرأته لايكون طلاقا إلا بالنية ٧/ ٤٣٩ رقم ٢٧٠٣ عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما .

(٦) انظر: لسان العرب ٢/ ٦١ مادة عنت .

و عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ : قال رسول الله ﷺ :(إن أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)(١) وقال ﷺ : (نَضَّرَ اللَّهُ امرَأً سمِعَ مَقَالتي فوعَاها وحفظَهَا وبلَّغَها فَرُبَّ حَامِلِ فقْه إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ منه)(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام:(إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملهُ إلا من ثلاثٍ صدقةٍ جاريةٍ، أوعلمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعوْله)(٣).

أقول : العلوم الشرعية تدخل فيه دخولا أوليا بل قد تكون هي وحدها المقصودة هنا وإن كان التنكير هنا يدل على أن كل علم ينتفع به الناس في دينهم ودنياهم إن احتسب صاحبه فيه الأجرَ كُتبَ له الثوابُ بعد الموت فيدخل فيه علوم الطب، والهندسة، والعلوم التطبيقية، وغيرها وبالله التوفيق.

وينبغي لمن يعلم الناس علوم الدين وغيرها أن يجتنب:

- العبوس .
- والشتم .
- والضرب اقتداءاً بالنبي ﷺ فقد كان رفيقا حليما بشوشا في تعليمه عليه الصلاة والسلام فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُوَ لا بَعْدَهُ أَحسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ،فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي،وَ لا ضَرَبَنِي،وَ لا شَتَمَنِي قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)(٤).

ومعنى الكَهْرِ : القهرُ والانتهارُ والضحكُ، وأن تستقبل إنسانا بوجه عابس تهاونا به والكُهْرُورَةُ : بالضم : المُتَعَبسُ الذي ينتهرُ الناسَ(٥).

---

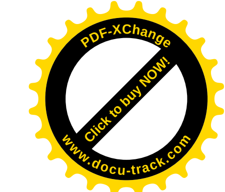
(١) أخرجه البخاري ك/ فضائل القرآن ب/ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٥/ ٤٤٠ رقم ٤٦٤٠ عن عثمان ﷺ .

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي ك/ العلم ب/ ماجاء في الحث على تبليغ السماع ١/ ٤٣٠ رقم ٢٦٥٦ و ٢٦٥٧ و ٢٦٥٨ وأبوداود ك/ العلم ب/ فضل نشر العلم ١/ ٤٠٤ رقم ٣٦٦٠ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٢١ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وفي الباب عن ابن مسعود وأنس وأبي الدرداء رضي الله عنهم .

(٣) أخرجه مسلم ك/ الوصية ب/ ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٨/ ٤٠٥ ٣٠٨٤ عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم ك/ الصلاة ب/ تحريم الكلام في الصلاة ٣/ ١٤٠رقم ٨٣٦ عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ .

(٥) انظر: القاموس المحيط ١/ ٤٢٦ .

الخامسة عشرة : الوعظ والتذكير :

قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١) **قال الجوهري : الوَعْظُ:** النُصْحُ، والتذكيرُ بالعواقب، تقول: وَعَظْتُه وَعْظاً وعِظَةً فاتَّعَظَ، أي: قبِلَ المَوْعِظَةَ يقال: السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ: من اتَّعَظَ به غيره(٢) **وقال الجرجاني :** الوعظ : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب(٣).

قال ابنُ عطية : (﴿ والموعظة الحسنة ﴾ التخويف، والترجية، والتلطف بالإنسان بأن ُيجله ويبسطه ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ، ونحو هذا ، فهذه حالة من يُدعَى)(٤).

قال أبو حيان رحمه الله : (والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس ، وعنه أيضاً : الأدب الجميل الذي يعرفونه ، وقال ابن جرير : هي العبر المعدودة في هذه السورة ، وقال ابن عيسى : الحكمة المعروفة بمراتب الأفعال والموعظة الحسنة أن تختلط الرغبة بالرهبة ، والإنذار بالبشارة ، وقال الزمخشري : إلى سبيل ربك الإسلام ، بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة ، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ، والموعظة الحسنة وهي التي لا تخفى عليهم إنك تناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن أي : ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ، وقال ابن عطية : الموعظة الحسنة التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله وتنشطه ، وتجعله بصورة من قبل الفضائل ونحو هذا) انتهى كلامه(٥).

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى :

﴿ والموعظة الحسنة ﴾ وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها(٦).

---

(١) سورة النحل : ١٢٥.
(٢) انظر: الصحاح ٢/ ٢٨٦ .
(٣) انظر: التعريفات ١/ ٣٤٧ .
(٤) انظر: المحرر الوجيز ٤/ ٢١١.
(٥) انظر: البحر المحيط ٧/ ٣٠٧.
(٦) انظر: فتح القدير ٤/ ٢٧٦.




وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى :

(**والموعظة** : القول الذي يلين نفس المقول لـه لعمل الخير وهي أخصّ من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها ووصفها بالحُسْن تحريض على أن تكون ليّنة مقبولة عند الناس ، أي حسنة في جنسها ، وإنما تتفاضل الأجناس بتفاضل الصفات المقصودة منها[١]

والوعظُ : الأمرُ بفعل الخير وترك الشرّ بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال، والاسم منه الموعظة)[٢]، وفي الحديث (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة)[٣]،وأما التذكير فقد أمر الله به فقال تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] ،ومن انتفع بالذكرى فهذه علامة على أنه يخشى الله قال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَ﴾[٥].

السادسة عشرة : الجدال بالتي هي أحسن :

قال تعالى ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٦]

قال الشوكاني رحمه الله : أي : بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة[٧].

قال ابن كثير رحمه الله :

أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال تعالى ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[٨] فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال:﴿فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٩] [١٠] .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٨/ ١٦٢.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٣/ ٤٦١.
(٣) حديث صحيح : أخرجه أبو داود في السنن ك/ السنة ب/ لزوم السنة ١٢/ ٢١١ رقم ٣٩٩١ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٣٦ رقم ١٦٥عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .
(٤) سورة الذاريات : ٥٥.
(٥) سورة الأعلى من ٩- ١٢.
(٦) سورة النحل : ١٢٥.
(٧) انظر: فتح القدير ٤/ ٢٧٦ .
(٨) سورة العنكبوت: ٤٦.
(٩) سورة طه: ٤٤.
(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦١٣.

الفصل الثالث

خطر اللسان وآفاته

المبحث الأول
التحذير من خطر اللسان

قال تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١]

قال أبو حيان رحمه الله :

(وقرأ الجمهور :﴿ما يلفظ من قول ﴾ ، وظاهر ما يلفظ العموم،قال مجاهد ، وأبو الحوراء : يكتب عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه، وقال الحسن ، وقتادة : يكتبان جميع الكلام ، فيثبت الله تعالى من ذلك الحسنات والسيئات ، ويمحو غير ذلك،وقيل : هو مخصوص ، أي من قول خير أو شر، وقال : معناه عكرمة ، وما خرج عن هذا لا يكتب، واختلفوا في تعيين قعود الملكين ، ولا يصح فيه شيء، ﴿رقيب﴾ : ملك يرقب، ﴿ عتيد ﴾ : حاضر ، وإذا كان على اللفظ رقيب عتيد ، فأحرى على العمل،وقال الحسن : فإذا مات ، طويت صحيفته، وقيل له يوم القيامة: اقرأ كتابك)[٢].

أقول : والظاهر من الآية ماقدمه الإمام أبوحيان فالقول نكرة يدل على العموم فأي قول في أي شأن مكتوب سواء كان في الخير أو الشر أو الإباحة أو غيرها فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال تعالى﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً لا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٣] أَحَداً﴾[٣]

قال الماوردي رحمه الله:

وفي الصغيرة تأويلان :

أحدهما : أنه الضحك ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرها .

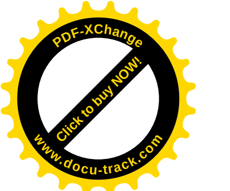
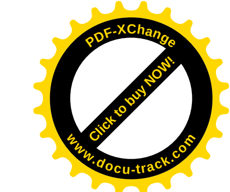
وأما الكبيرة ففيها قولان:

---

(١) سورة ق : ١٨.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط ١٠/ ١٢٤.

(٣) سورة الكهف: ٤٩ .

أحدهما : ما جاء النص بتحريمه .

الثاني : ما قرن بالوعيد والحَدِّ .

ويحتمل قولاً ثالثاً : أن الصغيرة الشهوة ، والكبيرة العمل .

قال قتادة : اشتكى القوم الإحْصاء وما اشتكى أحد ظلماً ، وإياكمو المحقرات من الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه، ﴿ووجَدوا ما عَملوا حاضِراً ﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما : ووجدوا إحصاء ما عملوا حاضراً في الكتاب، الثاني : ووجدوا جزاء ما عملوا عاجلاً في القيامة،﴿ولا يظلم ربك أحداً ﴾ يعني من طائع في نقصان ثوابه ، أو عاص في زيادة عقابه) انتهى كلامه[1].

وقد أخبر ﷺ أن من أعظم أسباب حفظ دين المسلم كف المسلم لسانه عن ما لاخير فيه كما في حديث معاذ ﷺ مرفوعا:(قَالَ أَلا أُخْبِرُك بِمَلاك ذَلِكَ كُلِّه قُلْتُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّه فَأَخَذَ بِلِسَانِه قَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّه وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِه فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)[2].

قال الأحوذي : (وَالْمَعْنَى لا تَكَلَّمْ بِمَا لا يَعْنِيك ، فَإِنَّ مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقْطُهُ وَمَنْ كَثُرَ سقطه كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَلِكَثْرَةِ الْكَلامِ مَفَاسِدُ لا تُحْصَى)[3].

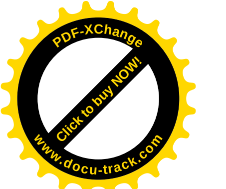
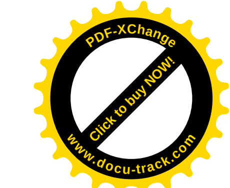
وكثرة الكلام في ما لاخير فيه من أعظم أسباب دخول جهنم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ بِهِ النَّارَ فَقَالَ: (الأَجْوَفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ ،

---

(١) انظر: تفسير النكت والعيون ٢/ ٤٨٠ .

(٢) حديث صحيح :أخرجه الترمذي ك/ الإيمان ب/ حرمة الصلاة ٩/ ٢٠٢ رقم ٢٥٤١ وابن ماجه ك/الفتن ب/ كف اللسان في الفتنة ١١/ ٤٦٩ رقم ٣٩٦٣ وأحمد في المسند ٤٥/ ١، ١٠٩ والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٢٨ وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٩٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣/ ٥٧ رقم ٢٨٦٦ جميعهم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي ٦/ ٤١٥ .

وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ بِهِ الْجَنَّةَ فَقَالَ : **تقوى الله و حُسْنُ الْخُلُقِ**)[١]

وفي معناه قوله ﷺ في الحديث الآخر **(قَالَ: مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)**[٢].

وكلمة واحدة تكفي لدخول جهنم كما قال ﷺ **(إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا يرْفَعُه اللَّهُ بِهَا درجات وَإِنَّ الْعَبْدَ ليَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّم)**[٣].

وإن كلمة واحدة يكتب الله بها الرضى أو السّخطُ على العبد كما قال ﷺ :**(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ)**[٤].

ولما كان خطر اللسان عظيماً علّم النبي ﷺ بعض أصحابه الاستعاذة من شره فعَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ :أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ قَالَ فَأَخَذَ بِكَتِفِي فَقَالَ: **(قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي ، يَعْنِي فَرْجَهُ)**[٥].

ولذلك فبيان خطر هذه الجارحة من صميم الدين ولنبدأ بذكر آفات اللسان:

---

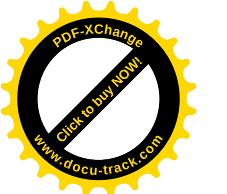
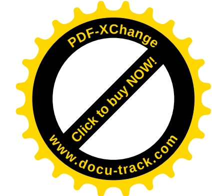
(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذي في السنن ك/ الأدب ب/ ماجاء في حسن الخلق ٧/ ٢٨٦ و ابن ماجه في السنن ك/ ب/ ذكر الذنوب ١٢/ ٢٩٦ وأحمد في المسند ١٦/ ١٠٧ رقم ٧٥٦٦ و١٨/ ٢٧٦ رقم ٨٧٣٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٩٧٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري ك/ الرقاق ب/ حِفْظِ اللِّسَانِ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ٢٠/ ١١٥ عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ك/ الرقاق ب/ حفظ اللسان ٢٠/ ١١٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) حديث صحيح : انظر السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٦٢ رقم ٨٨٨ عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه .

(٥) حديث صحيح : أخرجه أحمد في المسند ٣١/ ١٢٦ رقم ١٤٩٩٢ والترمذي في السنن ك/ الدعوات ب/ ماجاء في عقد التسبيح باليمين ١١/ ٣٩٧ وأبو داود ك/ الوتر ب/ في الاستعاذة ٤/ ٣٥ رقم ١٢٤٠ والنسائي ك/ الاستعاذة ب/ الاستعاذة من شر الذكر ١٦/ ٣١٤ جميعهم عن شَكَلِ بنِ حُميدٍ وصححه الألباني في كتب السنن المذكورة .

المبحث الثاني

آفات اللسان التي حذر منها الإسلام

الآفة الأولى : الشرك والسخرية بالدين وأهله:

أما الشرك فاسمع قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

و أما السخرية بالدين فانظر قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾(٢).

أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في طائفة من المنافقين تكلموا عن النبي ﷺ وبعض أصحابه بسخرية واستهزاء ففضحهم الله، وحكم بكفرهم فعلى هذا من سخر بشخص يحمل الدين والإسلام لأجل دينه كفر، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن النطق بكلمة الشرك والكفر هو أعظم جريمة تقع على وجه الأرض كما قال تعالى ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً،مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ لا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِباً ﴾(٣)

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً ﴾(٤).

أقول : ومما يجب على المسلم التحرز منه حفظ لسانه مما جرت به العادة من ألفاظ كفرية وقد حصل مثل هذا للصحابة رضي الله عنهم فقد كان بعضهم يحلف باللات والعزى لأن ألسنتهم تعودت على ذلك في الجاهلية سنين طويلة فأمرهم النبي ﷺ بقول: لاإله إلا الله (٥) ونحن اليوم في العالم الإسلامي وعلى سبيل المثال في بعض مناطق اليمن ينطق أقوام بكلمات هي كفر صريح وهم يصلون الصلوات الخمس في المساجد فبعضهم عياذاً بالله يسب

---

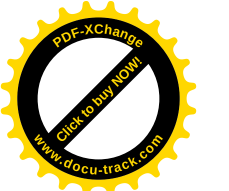
(١) سورة المائدة : ٧٣.

(٢) سورة التوبة : ٦٥- ٦٦.

(٣) سورة الكهف : ٤- ٥.

(٤) سورة مريم:٨٩ إلى ٩٢.

(٥) أخرجه البخاري ك/ التفسير ب/ أفرأيتم اللات والعزى ١٩/ ٦٣ عن أبي هريرة ﷺ .




صاحبه بكلمات هي كفر صريح فيقول له : هو يفعل كذا بدينه أو دين ربه وهذه كلماتٌ قطعاً تعودت عليها الألسن لظروفٍ معلومة لكن الواجب التوبة منها، ونطق الشهادتين بعد كل كلمة من هذه الكلمات مع الاستغفار ،و التسبيح لله، وتنزيهه سبحانه وتعالى، ومثل هذه الكلمات من أعظم مايجب إنكاره على المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الآفة الثانية : القول على الله بغير علم :

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) وقال تعالى ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴾(٢).

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين :

(وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٣) فرتب المحرمات أربع مراتب بدأ بالفواحش ثم ثنى بما هو أشد تحريما منها وهو الإثم والظلم ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه وقال تعالى﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤) فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام، ولما لم يحله هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه ، وقال بعض السلف : (ليتق أحدكم أن يقول أحل الله كذا وحرم كذا فيقول الله له

---

(١) سورة الأعراف :[٣٣] .
(٢) سورة النحل : [١١٦]
(٣) سورة الأعراف : [٣٣] .
(٤) سورة النحل : [١١٦] و[١١٧].



كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ورود الوحي المبين بتحليله وتحريمه أحله الله وحرمه الله لمجرد التقليد أو بالتأويل)[1] انتهى كلامه .

أقول : ونحن في زمن كثرت فيه الفتاوى المخالفة للشرع التي تخالف الكتاب والسنة وليست هذه الفتاوى ببعيدة من قول معاذ ﷺ في النهي عن اتباع زيغة الحكيم في الحديث الذي أخرجه أبو داود من طريق يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ وكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أن معاذاﷺ : (كَانَ لا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلا قَالَ : **اللَّهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ** فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا : **إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ : مَا لِلنَّاسِ لا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلالَةٌ وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ**، قَالَ : قُلْتُ لِمُعَاذٍ مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ ؟ **قَالَ : بَلَى اجْتَنِبْ مِنْ كَلامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ وَلا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا .**

قَالَ أَبُو دَاوُد: قَالَ مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ **(وَ لا يُنْئِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ)** مَكَانَ يُثْنِيَنَّكَ ، و قَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْمُشَبِّهَاتِ مَكَانَ الْمُشْتَهِرَاتِ وَقَالَ لا يُثْنِيَنَّكَ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ ،و قَالَ ابْنُ إِسْحَقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : بَلَى مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ حَتَّى تَقُولَ مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ)[2].

شرح هذا الحديث :

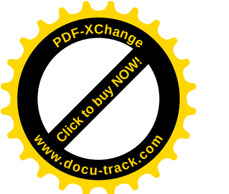
قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ : "(هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ) : أَيْ الشَّاكُّونَ(إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ) : أَيْ بَعْدكُمْ

(فِتَنًا) : بِكَسْرٍ فَفَتْح جَمْع فِتْنَة وَهِيَ الِامْتِحَان وَالِاخْتِبَار بِالْبَلِيَّة (وَيُفْتَح): بِصِيغَةِ الْمَجْهُول وَهُوَ كِنَايَة عَنْ شُيُوع إِقْرَاء الْقُرْآن وَقِرَاءَته وَكَثْرَة تِلَاوَته لِأَنَّ مِنْ لَازِم شُيُوع الْإِقْرَاء

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٣٨و٣٩ بتصرف يسير.

(٢) حديث صحيح موقوف : أخرجه أبوداود ك/ السنة ب/ لزوم السنة ١٢/ ٢١٦ والحاكم في المستدرك ١٩/ ٣٣٢و٣٣٣ والطبراني في الكبير ١٥/ ٢٨ وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٣٦٤ وصححه الألباني في سنن أبي داود .

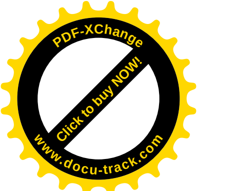



وَالْقِرَاءة وَكَثْرَة التِّلاوَة أَنْ يُفْتَح الْقُرْآن . وَالْمَعْنَى أَنَّ فِي أَيَّام هَذِه الْفِتَن يَشِيع إِقْرَاء الْقُرْآن وَقِرَاءَته وَيَرُوج تلاوتَه بِحَيْثُ يَقْرَؤُهُ الْمُؤْمِن وَالْمُنَافِق وَالرَّجُل وَالْمَرْأَة وَالْكَبِير وَالصَّغِير وَالْعَبْد وَالْحُرّ .(حَتَّى أَبْتَدِع لَهُمْ): أَيْ أَخْتَرِع لَهُمْ الْبِدْعَة (غَيْره): أَيْ غَيْر الْقُرْآن وَيَقُول ذَلِكَ لَمَّا رَآهُمْ يَتْرُكُون الْقُرْآن وَالسُّنَّة وَيَتَّبِعُونَ الشَّيْطَان وَالْبِدْعَة (فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ): أَيْ احْذَرُوا مِنْ بِدْعَته(فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ): بِصِيغَة الْمَجْهُول أَوْ الْمَعْلُوم،(زَيْغَة الْحَكِيم) : أَيْ انْحِرَاف الْعَالِم عَنْ الْحَقّ. وَالْمَعْنَى أُحَذِّرُكُمْ مِمَّا صَدَرَ مِنْ لِسَان الْعُلَمَاء مِنْ الزَّيْغَة وَالزَّلَّة وَخِلَاف الْحَقّ فَلَا تَتَّبِعُوهُ ،(قَالَ قُلْت): ضَمِير قَالَ رَاجِع إِلَى يَزِيد (مَا يُدْرِينِي): بِضَمِّ التَّحْتِيَّة وَكَسْر الرَّاء أَيْ أَيّ شَيْء يُعْلِمنِي(رَحِمَك اللَّه): جُمْلَة مُعْتَرِضَة دُعَائِيَّة(أَنَّ الْحَكِيم): بِفَتْحِ الْهَمْزَة مَفْعُول ثَانٍ لِيُدْرِينِي(قَالَ): أَيْ مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ(بَلَى): أَيْ قَدْ يَقُول الْحَكِيم كَلِمَة الضَّلَالَة وَالْمُنَافِق كَلِمَة الْحَقّ(اجْتَنِبْ) : بِصِيغَة الْأَمْر(مِنْ كَلَام الْحَكِيم الْمُشْتَهِرَات): أَيْ الْكَلِمَات الْمُشْتَهِرَات بِالْبُطْلَانِ (الَّتِي يُقَال لَهَا مَا هَذِه): أَيْ يَقُول النَّاس إِنْكَارًا فِي شَأْن تِلْكَ الْمُشْتَهِرَات مَا هَذِه(لَا يُثْنِيَنَّك) أَيْ لَا يَصْرِفَنَّك عَنْ الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم(ذَلِكَ): الْمَذْكُور مِنْ مُشْتَهِرَات الْحَكِيم(عَنْهُ):أَيْ عَنْ الْحَكِيم(فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ): أَيْ الْحَكِيم(أَنْ يُرَاجِع): أَيْ يَرْجِع عَنْ الْمُشْتَهِرَات(وَتَلَقَّ الْحَقّ): أَيْ خُذْهُ(فَإِنَّ عَلَى الْحَقّ نُورًا): أَيْ فَلَا يَخْفَى عَلَيْك كَلِمَة الْحَقّ وَإِنْ سَمِعْتهَا مِنْ الْمُنَافِق لِمَا عَلَيْهَا مِنْ النُّور وَالضِّيَاء وَكَذَلِكَ كَلِمَات الْحَكِيم الْبَاطِلَة لَا تَخْفَى عَلَيْك لِأَنَّ النَّاس إِذَا يَسْمَعُونَهَا يُنْكِرُونَهَا لِمَا عَلَيْهَا مِنْ ظَلَام الْبِدْعَة وَالْبُطْلَان وَيَقُولُونَ إِنْكَارًا مَا هَذِه وَتَشْتَهِر تِلْكَ الْكَلِمَات بَيْن النَّاس بِالْبُطْلَانِ ، فَعَلَيْك أَنْ تَجْتَنِب مِنْ كَلِمَات الْحَكِيم الْمُنْكَرَة الْبَاطِلَة ، وَلَكِنْ لَا تَتْرُك صُحْبَة الْحَكِيم فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يَرْجِع عَنْهَا(لَا يُنْئِيَنَّك): بِضَمِّ الْيَاء وَسُكُون النُّون وَكَسْر الْهَمْزَة أَيْ لَا يُبَاعِدَنَّك " انتهى كلامه[1].

أقول : والنور هو الكتاب والسنة فكل قول وافق الكتاب والسنة فهو الحق وماعداه فهو زيغ وليكن قائله من كان وهذا الحديث وإن كان موقوفا إلا أن فيه خبر عن غيب، ومثله لايقال بِالرأي فهو صحيح موقوف له حكم الرفع ، وهناك مرتابون اليوم يشككون في بعض أحكام الشرع، والله حكم قسط هلك المرتابون .

<u>الآفةُ الثالثةُ : الفخرُ والخيلاءُ وتزكيةُ النفسِ :</u>

(١) انظر: عون المعبود ١٠/ ١٣١ .




إن من آفات اللسان العظيمة فخر الإنسان بنفسه بنسبه أو ماله أوغيره ومن آفات اللسان كذلك مدح المرء نفسه بالحق أو الباطل فكل هذا ممقوت شرعاً قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لايُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا ﴾[4].

قال الخازن رحمه الله تعالى : **(المختال** : المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس،**و الفخور** : هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبراً وتطاولاً على مَنْ دَونَهُ، **وقيل**: هو الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه، ولا يشكره عليها)[5].

وأما تزكية الإنسان نفسه بمدحها وتبرئتها من العيوب والآثام فقد حذر الله منها فقال تعالى ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[6].

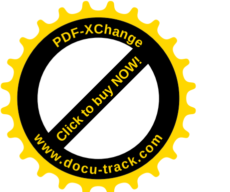
قال ابن جرير رحمه الله :

(وقوله﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ يقول جل ثناؤه: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي، وقد جعل الله تزكية اليهود لأنفسهم ذنباً وعيباً في حقهم فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلا ﴾[7] [8].

و قال الشوكاني رحمه الله: (قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ تعجيب من حالهم،وقد اتفق المفسرون على أن المراد : اليهود، واختلفوا في المعنى الذي زكوا به أنفسهم، فقال الحسن ، وقتادة :

---

(١) سورة هود : [١٠] .
(٢) سورة لقمان : [١٨] .
(٣) سورة الحديد : [٢٣] .
(٤) سورة النساء : [٣٦] .
(٥) تفسير الخازن ٨٩/٢ باختصار .
(٦) سورة النجم : [٣٢] .
(٧) سورة النساء: [٤٩] .
(٨) انظر: تفسير الطبري ٦٩/٢٧ .




هو قولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاء الله وَأَحِبَّاؤُه ﴾ [١] وقولهم : ﴿ لَن يَدْخُلَ الجنة إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نصارى ﴾ [٢] وقال الضحاك : هو قولهم لا ذنوب لنا ، ونحن كالأطفال، وقيل : قولهم إن آباءهم يشفعون لهم،وقيل : ثناء بعضهم على بعض، ومعنى التزكية : التطهير والتنزيه، فلا يبعد صدقها على جميع هذه التفاسير وعلى غيرها، واللفظ يتناول كل من زكى نفسه بحق أو بباطل من اليهود وغيرهم، ويدخل في هذا التلقب بالألقاب المتضمنة للتزكية، كمحيي الدين، وعز الدين، ونحوهما،قوله : ﴿ بَلِ الله يُزَكّى مَن يَشَاء ﴾ [٣] ،أي : ذلك إليه سبحانه ، فهو العالم بمن يستحق التزكية من عباده ، ومن لا يستحقها ، فليدع العباد تزكية أنفسهم ، ويفوضوا أمر ذلك إلى الله سبحانه ، فإن تزكيتهم لأنفسهم مجرد دعاوى فاسدة تحمل عليها محبة النفس ، وطلب العلوّ والترفع والتفاخر ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتقى ﴾ [٤]انتهى كلامه بلفظه[٥].

الآفة الرابعة :قول الزور :

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ﴾[٦]

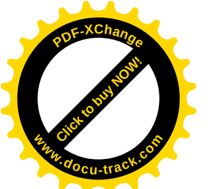
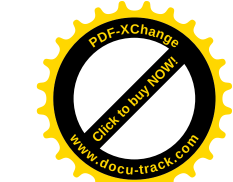
قال ابن جرير رحمه الله:(والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركا، ولا غناء، ولا كذبا ولا غيره، وكلّ ما لزمه اسم الزور، لأن الله عمّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل)[٧].

ومن أعظم الزور شهادة الزور التي يقول عنها ﷺ: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟؟ ثَلاثًا !! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)[٨].

الآفة الخامسة : تبديل ألفاظ الشرع والتلاعب بها :

---

(١) سورة المائدة : ١٨.
(٢) سورة البقرة : ١١١.
(٣) سورة النساء : ٤٩ .
(٤) سورة النجم : ٣٢ .
(٥) انظر: تفسير فتح القدير ٢/١٦٠ .
(٦) سورة الفرقان: ٧٢.
(٧) انظر: جامع البيان ١٩/٣١٤ .
(٨) أخرجه البخاري ك/ الشهادات ب/ ماقيل في شهادة الزور ٩/ ١٣٦ .

قال تعالى ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] وقد جاء الحديث عن النبي ﷺ مبيناً صورة من صور التلاعب بألفاظ الشرع حيث يقول ﷺ : (ليستحلن طائفةٌ من أمتي الخمرَ باسم يسمونها إياه، (و في رواية) يسمونها بغير اسمها)[3] فيجب على المسلم المحافظة على ألفاظ الشرع وعدم التلاعب بها والله الموفق .

قصة حول هذا المعنى :

هذه قصة تدل على أدب الصحابة - رضي الله عنهم- مع ألفاظَ الشرعِ : فعَنْ مُحَمَّد بْنِ سيرِينَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى عمر بْنِ الْخَطَّاب ﷺ فَقَالَ : إِنِّي أَجْرَيْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي فَرَسَيْنِ نَسْتَبِقُ إِلَى ثُغْرَةِ ثَنِيَّةٍ فَأَصَبْنَا ظَبْيًا وَنحن مُحْرِمَانِ فَمَاذَا تَرى ؟؟ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِه : تَعَالَ حَتَّى أَحْكُمَ أَنَا وَأَنْتَ قَالَ : فَحَكَمَا عَلَيْه بِعَنْزٍ فَوَلَّى الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ فِي ظَبْيٍ حَتَّى دَعَا رَجُلاً يَحْكُم مَعَهُ !! فَسَمِعَ عُمَرُ ﷺ قَوْلَ الرَّجُلِ فَدَعَاه فَسَأَلَهُ هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَة ؟؟ قَالَ : لا ، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي حَكَمَ مَعِي ؟ فَقَالَ:لا . فَقَالَ : لَوْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَة لأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[4]وَهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ)[5].

<u>الآفة السادسة : رفع الأصوات في المساجد من غير ضرورة شرعية :</u>

كما في الحديث عن ابن مسعود ﷺ قال : قال : ﷺ (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ)[6].

---

(١) سورة البقرة : [٥٩] .

(٢) سورة البقرة: [١٠٤] .

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد ٤٦/ ١٩٧ و٣٧/ ٢٥ رقم ٢١٦٥١ و ١٧٣٧٩ عن أبي مالك الأشعري وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٠).

(٤) سورة المائدة: [٩٥] .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢٧٨/٣ .

(٦) أخرجه مسلم ك/ الصلاة ب/ تسوية الصفوف وإقامتها ٢/ ٤٢٦ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

و عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأْتِني بِهَذَيْنِ فَجِئْتُه بِهِمَا،قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ قَالا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا؛ تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[١].

أقول : لكن رفع الصوت في الخطبة والموعظة مباح ويندب أحيانا للحاجة فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان في الخطبة كأنه منذر جيش.

<u>الآفة السابعة : رفع الصوت عند النبي ﷺ في حياته وعند حديثه بعد مماته :</u>

قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾[٢] ،وكما أنه من سوء الأدب رفع الصوت بين يدي رسول الله ﷺ فكذلك من سوء الأدب رفع الصوت بين يدي العلماء ففي الحديث عنه ﷺ **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)**[٣]، وقال ﷺ **(لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)**[٤].

أقول : إذا فالأدب في مجالس العلماء عنوان التوفيق، وسبب من أسباب الرحمة، وعكسه بعكسه، وما أحسن قول أمير الشعراء:

قم للمعلم وفه التبجيلا .... كاد المعلم أن يكون رسولا

سبحانك اللهم خير معلم . ...علمت بالقلم القرون الأولى

---

(١) أخرجه البخاري ك/الصلاة ب/رفع الصوت في المسجد ٢/ ٢٧٥ .

(٢) سورة الحجرات: [٢] .

(٣) حديث صحيح : أخرجه الترمذي : ك/ العلم ب/ ماجاء في فضل الفقه على العبادة ٩/ ٢٩٦ .وصححه الألباني في صحيح الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ .

(٤) حديث حسن :أخرجه أحمد في المسند ٤٦/ ٢٣٩ واللفظ له والحاكم في المستدرك ١/ ٤٠٦ وحسنه الألباني في الترغيب ٢٤/١ وتحريم ألات الطرب ٣٠/١ عن عبادة بن الصامت ﷺ.

أرسلت بالتوراة موسى هادياً . ... وابنَ البتولِ فعلّم الإنجيلا

وفجرتَ ينبوعَ البيانِ محمداً . ... فسقى الحديثَ وناول التنزيلا

<u>الآفة الثامنة : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف :</u>

قال تعالى ﴿ والْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١)

قال الجرجاني رحمه الله :

الأمر بالمعروف : الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلاءم في الشريعة، وقيل: الأمر بالمعروف: أمرٌ بما يوافق الكتاب والسنة، والنهي عن المنكر: نهيٌ عما تميل إليه النفس والشهوة، وقيل: الأمر بالمعروف: إشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أفعال العبدو أقواله ، والنهي عن المنكر: تقبيح ما تنفر عنه الشريعة ، وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى(٢).

أقول : والمنكرُ كل ما خالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فمن أمر بشيء يخالفهما فقد أمر بالمنكر.

<u>الآفة التاسعة : قذف المحصنات الغافلات المؤمنات:</u>

من آفات اللسان اتهام المسلمين الصالحين والمسلمات الصالحات بالفواحش وقد توعد الله على هذا الذنب بوعيد شديد قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَاوَ الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

قال البغوي رحمه الله :

(أراد بالرمي القذف بالزنا، وكل من رمى محصنا أو محصنة بالزنا، فقال له: زنيت أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حرا، وإن كان عبدا فيجلد أربعين، وإن كان المقذوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير ، وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام، والعقل، والبلوغ والحرية، والعفة من الزنى)(٤).

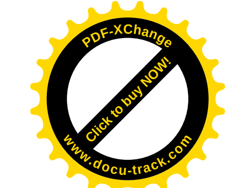
---

(١) سورة التوبة : ٦٧.

(٢) انظر: التعريفات ١/ ١١ .

(٣) سورة النور : ٢٣.

(٤) انظر: تفسير البغوي ٦/١٠ .

وقد جعل النبي ﷺ القذف من الُمهلكاتِ العظيمة فقَالَ:(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ)[١].

الآفة العاشرة : الكذب :

تعريفُ الكذبِ : قال الجرجاني : كذب الخبر عدم مطابقته للواقع، وقيل : هو إخبار لاعلى ماعليه المخبر عنه[٢] ومعلوم أن الكذب خلاف الصدق وقد ذم الله ورسوله الكذب، وجعل النبي ﷺ الكذبَ طريقاً إلى النار : قَالَ ﷺ (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[٣].

والكذب من خصال المنافقين قال ﷺ :(آيةُ المنافقِ ثلاثٌ إذا حدثَ كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا أؤتمنَ خان)[٤].

ورخص الإسلام بالقول خلاف الواقع في ثلاثة مواطن:

الأول : في الإصلاح بين الناس :

عن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ رضي الله عنها قالت : (سَمِعَتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا)[٥].

والثاني والثالث : في الحرب، وفي الحديث بين الزوجين:

وفي السنن ومسند أحمد عنها رضي الله عنها قالت : (رخص النبي ﷺ من الكذب في ثلاث : في الحرب وفي الإصلاح بين الناس وقول الرجل لامرأته وفي رواية : وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها)[٦].

أقوال أهل العلم في أحكام هذا الحديث ومعانيه:

---

(١) صحيح البخاري ك/ الوصايا ب/ قول الله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ٩/ ٣١٥ .

(٢) انظر:التعريفات ١/ ٢٦٤ .

(٣) أخرجه البخاري ك/ الأدب ب/ قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ٤٥/١٩ . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري ك/ الأدب ب/ نفس الباب السابق ١٩/ ٤٦ عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري ك/ الصلح ب / ليس الكاذب الذي يصلح ٩/ ١٩٤ عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها .

(٦) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٨٣ رقم ٥٤٥ .




قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ في شرح هذا الحديث :

(والرجل يقول فِي الحرب): قِيل الكذب فِي الحرب كأن يقول فِي جيش المسلِمِين كثرة وجاءهم مدد كثِير ، أو يقول انظر إِلى خلفك فإِن فلانا قد أتاك مِن ورائِك لِيضرِبك، وقال الخطابِي : الكذِب فِي الحرب أن يظهِر مِن نفسه قوة ويتحدث بِما يقوِي بِهِ أصحابه، ويكِيد بِهِ عدوه(والرجل يحدث إِلخ) : أي فِيما يتعلق بِأمرِ المعاشرة وحصول الألفة بينهما ، قال الخطابِي : كذب الرجل زوجته أن يعدها ويمنيها ويظهِر لها مِن المحبة أكثر مِما فِي نفسه يستدِيم بِذلِك صحبتها ويصلِح بِهِ خلقها[(١)].

قال الحافظ في الفتح في باب الكذب في الحرب :

(قال النّوويّ : الظّاهر إِباحة حقِيقة الْكذِب فِي الأُمور الثّلاثة ، لكِنّ التّعْرِيض أوْلى .
وقال ابْن الْعربِيّ : الْكذِب فِي الْحرْب مِنْ الْمُسْتثْنى الْجائِز بِالنّصِّ رِفْقًا بِالْمُسْلِمِين لِحاجتِهِمْ إِليْهِ وليْس لِلْعقْلِ فِيهِ مجال ، ولوْ كان تحْرِيم الْكذِب بِالْعقْلِ ما انْقلب حلالا)[(٢)]

وقال شارح الترمذي :

(قوْلُهُ : (يُحدِّثُ الرّجُلُ امْرأتهُ لِيُرْضِيها) قال الْقارِي : حذف قرِينتهُ لِلإِكْتِفاءِ أوْ لِلْمُقايسة أوْ وقع اِخْتِصارًا مِنْ الرّاوِي اِنْتهى ، قُلْت : وقع فِي حدِيث أُمِّ كُلْثُومٍ عِنْد مُسْلِمٍ قالتْ : ولمْ أسْمعْهُ يُرخِّصُ فِي شيْءٍ مِمّا يقُولُ النّاسُ إِلا فِي ثلاثٍ : الْحرْبِ والإِصْلاحِ بيْن النّاسِ وحدِيثِ الرّجُلِ اِمْرأتهُ وحدِيثِ الْمرْأةِ زوْجها، قال النّوويُّ فِي شرْحِ مُسْلِمٍ : قال الْقاضِي : لا خِلاف فِي جوازِ الْكذِبِ فِي هذِهِ الصُّورِ ، واخْتلفُوا فِي الْمُرادِ بِالْكذِبِ الْمُباحِ فِيها ما هُو؟
فقالتْ طائِفةٌ : هُو على إِطْلاقِهِ وأجازُوا قوْل ما لمْ يكُنْ فِي هذِهِ الْمواضِعِ لِلْمصْلحةِ ، وقالُوا الْكذِبُ الْمذْمُومُ ما فِيهِ مضرّةٌ ، واحْتجُّوا بِقوْلِ إِبراهِيم ﷺ: بلْ فعلهُ كبِيرُهُمْ ، وإِنِّي سقِيمٌ . وقوْلُهُ : إِنّها أُخْتِي ، وقوْلِ مُنادِي يُوسُف ﷺ: أيّتُها الْعِيرُ إِنّكُمْ لسارِقُون قالُوا و لا خِلاف أنّهُ لوْ قصد ظالِمٌ قتْل رجُلٍ هُو عِنْدهُ مُخْتفٍ وجب عليْهِ الْكذِبُ فِي أنّهُ لا يعْلمُ أيْن هُو . وقال آخرُون مِنْهُمْ الطّبرِيُّ : لا يجُوزُ الْكذِبُ فِي شيْءٍ أصْلا ، قالُوا : وما جاء مِنْ الإِباحةِ فِي هذا

---

(١) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٠/ ٤٥٠ .

(٢) انظر: فتح الباري ٩/٢٥٠ باختصار.

الْمُرادُ بِهِ التّوْرِيةُ واسْتِعْمالُ الْمعارِيضِ لا صرِيحُ الْكذِبِ ، مِثْلُ أنْ يعِد زوْجتهُ أنْ يُحْسِن إِليْها أوْ يكْسُوها كذا ، وينْوِي إِنْ قدّر اللّهُ ذلِك .

وحاصِلُهُ أنْ يأْتِي بِكلِماتٍ مُحْتمِلةٍ يفْهمُ الْمُخاطبُ مِنْها ما يطِيبُ قلْبهُ ، وإِذا سعى فِي الإِصْلاحِ نقل عنْ هؤُلاءِ إِلى هؤُلاءِ كلامًا جمِيلا ، ومِنْ هؤُلاءِ إِلى هؤُلاءِ كذلِك رُوِي .

وكذا فِي الْحرْبِ بِأنْ يقُول لِعدُوِّهِ مات إِمامُكُمْ الأعْظمُ وينْوِي إِمامهُمْ فِي الأزْمانِ الْماضِيةِ ، أوْ غدًا يأْتِينا مددٌ أيْ طعامٌ أوْ نحْوُ هذا مِنْ الْمعارِيضِ الْمُباحةِ ، فكُلُّ هذا جائِزٌ . وتأوّلُوا قِصّة إِبْراهِيم ويُوسُف وما جاء مِنْ هذا على الْمعارِيضِ .

وأمّا كذِبُهُ لِزوْجتِهِ وكذِبُها لهُ ، فالْمُرادُ بِهِ فِي إِظْهارِ الْودِّ والْوعْدِ بِما لا يلْزمُ ، ونحْوِ ذلِك .

فأمّا الْمُخادعةُ فِي منْعِ حقٍّ عليْهِ أوْ عليْها أوْ أخْذِ ما ليْس لهُ أوْ لها فهُو حرامٌ بِإِجْماعِ الْمُسْلِمِين)(١).

الآفة الحادية عشرة :النميمة :

قال تعالى ﴿و لا تُطِعْ كُلّ حلافٍ مّهِينٍ،همّازٍ مّشّاء بِنمِيمٍ ﴾(٢)، **تعريف النميمة :**

قال الأصمعيّ: نميْتُ الحديث مخفّفاً نمْياً، إذا بلّغته على وجهِ الإصلاحِ والخيرِ، وأصله الرفع، ونمّيْتُ الحديث تنْمِيةً، إذا بلّغته على وجه النميمة والإفساد(٣)، وفي السنة الكثير من النصوص التي تتحدث عن شؤم النميمة وأنها من الكبائر ومنها قوله ﷺ :(**لايدخل الجنة قتات**)(٤) والقتات : النمام : قال الجوهري : القتُّ: نمُّ الحديث. تقول: فلان يقُتُّ الأحاديث، أي ينمّها. " (٥)، وقال ﷺ : (**خيار عباد الله من هذه الأمة الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله تعالى ، و إن شرار عباد اللهِ مِنْ هذهِ الأمة المشّاءون بالنميمةِ المفرقون بين الأحبةِ الباغون للُبراءِ العنت**)(٦) ، ومعنى العنت كما يقول ابن الأثير :

---

(١) تحفة الأحوذي شرح الترمذي ٥/ ١٦٨ .

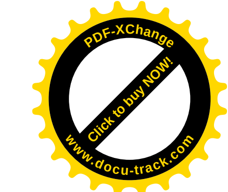
(٢) سورة القلم الآيتان [١٠،١١] .

(٣) الصحاح ٢/ ٢٣٤ .

(٤) أخرجه البخاري ك/ ب/ ما يكره من النميمة و مسلم ك/ ب/ بيان غلظ تحريم النميمة .

(٥) الصحاح للجوهري ٢/ ٦١ .

(٦) انظر السلسلة الصحيحة ٦/ ٣٤٨ وصحيح الترغيب والترهيب ٣ / ٨ رقم ٢٦٥٨ عن ابن غنم وأبي هريرة .

(المشقّةُ والفسادُ والهلاكُ والإثْم والغلط والخطأ والزِّنا كُلُّ ذلك قد جاء وأطْلِق العنتُ عليه، والحديث يحتمِل كلّها ، والْبرآء : جمع برِيء وهو والعنت منصوبان مفعولان لِلْباغِين،يقال : بغيْتُ فلاناً خيراً وبغيْتُك الشيء: طلبتُه لك وبغيْتُ الشيءُ: طلبْته)انتهى كلامه بلفظه[1].

الآفة الثانية عشرة : الغيبة :

وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته وقد حرمها الله جل وعلا فقال تعالى﴿ **ولا يغتبْ بعضُكم بعضا** ﴾ [2]وفي الحديث : أنّ رسُول اللّهِ ﷺ قال : **(أتدْرُون ما الْغِيبةُ؟** قالُوا: اللّهُ ورسُولُهُ أعْلمُ ، قال : **ذِكْرُك أخاك بِما يكْرهُ**، قِيل : أفرأيْت إِنْ كان فِي أخِي ما أقُولُ!! قال : **إِنْ كان فِيهِ ما تقُولُ فقدْ اغْتبْتهُ، وإِنْ لمْ يكُنْ فِيهِ فقدْ بهتّهُ)**[3].

ماهي المواطن التي تجوز فيها الغيبة ؟

عدها الإمام النووي ستة كما في رياض الصالحين وإليك خلاصة ماذكره النووي رحمه الله تعالى : أولا : التظلم فللمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي، وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه .

ثانيا : الاستعانة على تغيير منكر فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة منكر فلان يعمل كذا ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة منكر فإن لم يقصد إزالة المنكر كان ذلك حراما .

ثالثا : الاستفتاء فيقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول ماتقول في رجل أو شخص كان من أمره كذا ؟

رابعا : تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه:

الوجه الأول : جرح المجروحين من الرواة والشهود وهذا واجب للحاجة.

الوجه الثاني : المشاورة في المصاهرة أو المشاركة أو المعاملة لإنسان.

الوجه الثالث : تحذير من يتفقه في الدين من الأخذ عن فاسق أو مبتدع إذا خاف أن يتضرر التلميذ بذلك بشرط أن يقصد النصيحة وهذا مما يغلط فيه وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويلبس الشيطان عليه ذلك ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

---

(١) انظر:النهاية في الغريب ٣/ ٥٨٠ .

(٢) سورة الحجرات :١٢.

(٣) أخرجه مسلم ك/ ب/ تحريم الغيبة ٤٧٦/١٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه .




الوجه الرابع : شكوى الوالي الفاسق، أو غير القادر على الولاية لمن هو فوقه لاستبداله أو إصلاح شأنه .

فهذه الأحوال الأربعة تجوز فيها الغيبة، وكلها تدخل تحت تحذير المسلمين من الشر، وأدلتها ظاهرة متكاثرة.

خامسا: المجاهر بالفسق كشارب الخمر علانية أو المجاهر ببدعته تجوز غيبتهم فيما جاهروا به من المعاصي.

سادسا : تجوز الغيبة إذا كانت بغرض التعريف كقولك : فلان الأعمش أو الأعرج أو الأحول وغير ذلك)(١) انتهى كلامه باختصار .

والغيبة اليوم كما يصفها بعض شيوخنا أنها أضحت فاكهة العصر فما من مجلس يجلسه الناس إلا بدأوا بغيبة فلان وفلان من غير مبرر شرعي وهذا حرمه الله جل وعلا.

وما أحسن قول الشاعر المُثّقبْ العَبْدي عن الوفاء بالوعد وعن الغيبة:

وإذا قلـــتَ نعـــمْ فاصـــبْر لهـــا .... بنجـــازِ الوعـــدِ إن الخُلـــفَ ذَمْ
أكـــرم الجـــار وراع حقـــه ...... إن عرفـــان الفتـــى الحـــق كَـــرَمْ
لاترانـــي راتعـــا مـــن مجلـــسٍ.... فـــي لحـــومِ النـــاسِ كالسّـــبعِ الضّـــرِمْ
إن شـــر النـــاس مـــن يمـــدحني ... حـــين يلقـــاني وإن غبـــتُ شَـــتِمْ
وكـــلامٍ ســـيئٍ قـــد وقـــرت .... عنـــه أذنـــاي ومـــابي مـــن صَـــمَمْ
ولـــبعض الصّـــفحِ والإعـــراض عـــن...ذي الخنـــا أبقـــى وإن كَـــانَ ظَلَـــمْ(٢)

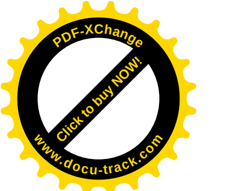
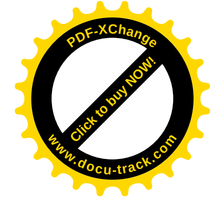
الآفة الثالثة عشرة : السخرية بالمسلمين :

الناس في شريعة الإسلام متساوون في الحقوق والواجبات لافضلَ لأحد على أحد إلا بالتقوى والتقوى مكانها الصدور وليس عند الله شيئ آخر غير العمل الصالح يرتفع به قدر المؤمن فمن سخر بمسلم لضعفه أو فقره أو دنو نسبه أو لونه وقع في الحرام ، قال تعالى ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمزَةٍ لُمزَةٍ** ﴾(٣) هذا وعيد شديد بالهلاك، والعذاب لكل من هذه صفته من الهمز واللمز .

قال الشوكاني رحمه الله :

---

(١) انظر: رياض الصالحين ١/ ٤٥٠ ، ٤٥١ باختصار وتصرف يسير .
(٢) انظر: جواهر الأدب ١/ ٤٧٨، ٤٧٩ .
(٣) سورة الهمزة :[١] .

الويل : هو مرتفع على الابتداء ، وسوّغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم ، وخبره : ﴿ لِّكُلّ هُمزةٍ لُّمزةٍ﴾(١) ،**والمعنى** : خزي ، أو عذاب ، أو هلكة أو واد في جهنم لكل همزة لمزة . قال أبو عبيدة ، والزجاج : الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ، وعلى هذا هما بمعنى .

وقال أبو العالية ، والحسن ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح :

الهُمَزَة : الذي يغتاب الرجل في وجهه، **واللُمَزة** : الذي يغتابه من خلفه، وقال قتادة عكس هذا، وروي عن قتادة ، ومجاهد أيضاً أن **الهمزة** : الذي يغتاب الناس في أنسابهم.

وروي عن مجاهد أيضاً أن :**الهمزة**: الذي يهمز الناس بيده،**واللمزة** :الذي يلمزهم بلسانه.

وقال سفيان الثوري : يهمزهم بلسانه ، ويلمزهم بعينه، وقال ابن كيسان :

الهُمَزة : الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، **واللُمزة** : الذي يكسر عينه على جليسه ، ويشير بيده وبرأسه وبحاجبه ، والأوّل أولى ، ومنه قول زياد الأعجم :

تُدْلِي بودّي إذا لاقيتني كَذِباً ... وإنْ أُغيبْ فأنتَ الهامزُ اللُمزه

وقول الآخر :

إذا لقيتُك عن سُخْطٍ تُكاشِرُني ... وإنْ تغيبتُ كنتَ الهامزُ اللمزه(٢).

وكما توعد الله الكافر بهذا الوعيد بسبب السخرية نهى المسلمين عن السخرية ببعضهم فقال تعالى ﴿يا أيُّها الّذين آمنُوا لا يسْخرْ قومٌ مِنْ قومٍ عسى أنْ يكُونُوا خيْرًا مِنْهُمْ ولا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عسى أنْ يكُنّ خيْرًا مِنْهُنّ ﴾(٣)

قال ابن كثير رحمه الله :

(ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(الكِبْر بطر الحق وغمْص الناس)** ويروى**(وغمط الناس)** والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظُم قدراً عند الله وأحبُّ إليه من الساخرِ منه المحتقر له؛ ولهذا قال:

---

(١) سورة الهمزة :[١] .

(٢) انظر: فتح القدير ٥٨/٨ .

(٣) سورة الحجرات : [١١] .

﴿ يا أيُّها الّذِين آمنُوا لا يسْخرْ قومٌ مِنْ قوْمٍ عسى أنْ يكُونُوا خيْرًا مِنْهُمْ ولا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عسى أنْ يكُنّ خيْرًا مِنْهُنّ ﴾[1] ، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء.

وقوله﴿ ولا تلْمِزُوا أنْفُسكُمْ ﴾[2]:

أي: لا تلمزوا الناس والهمّاز اللّماز من الرجال مذموم ملعون كما قال [تعالى] ﴿ ويْلٌ لِكُلِّ هُمزةٍ لمزه ﴾[3]فالهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال: ﴿ همّازٍ مشّاءٍ بِنمِيمٍ ﴾[4] أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعناً عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال؛ ولهذا قال هاهنا﴿ولا تلْمِزُوا أنْفُسكُمْ ﴾[5]) انتهى كلام ابن كثير[6].

الآفة الرابعة عشرة : اللعن :

إن من أعظم الآثام المنتشرة على الألسن اللعن فتجد الرجل يلعن ولده ودابته وزوجته أو حتى نفسه أو دابته وقد حرم الله اللعن على لسان رسوله ﷺ وجعل كثرة اللعنِ سبباً من أسبابِ دخولِ النارِ بقولهﷺ:- للنساء كما في صحيح البخاري- (يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير) [7].

وهنا أمور تتعلق باللعن :

الأمر الأول : معنى اللعن في اللغة والشرع :

فما معنى قول القائل : لعن الله كذا ؟

أ – معنى اللعن في اللغة :

قال ابن منظور في مادة لعن :

---

(١) سورة الحجرات : [١١] .

(٢) سورة الحجرات : [١١] .

(٣) سورة الهمزة : [١] .

(٤) سورة القلم : [١١] .

(٥) سورة الحجرات: [١١] .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٧٦ .

(٧) صحيح البخاري ك/بدء الوحي ب/ ترك الحائض الصوم(١ / ٨٣) رقم(٣٠٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.




(أبيت اللّعْن كلمةٌ كانت العرب تُحيِّي بها مُلوكها في الجاهلية تقول للملِك: أبيْت اللّعْن معناه :أبيْت أيُّها الملِك أن تأْتي ما تُلْعنُ عليه، واللّعْنُ الإِبْعادُ والطّرْد من الخير ، وقيل : الطّرْد والإِبعادُ من الله، ومن الخلْق السّبُّ، والدُّعاء، واللّعْنةُ الاسم والجمع لِعانٌ ولعناتٌ ولعنه يلْعنه لعْناً : طرده وأبعده ورجل لعِينٌ وملْعُونٌ والجمع ملاعِين)[1].

ومن معاني اللعن الترك :

(قد قال بعض أهل اللغة : اللعن : الترك ، والملعون : المتروك كما قال الشاعر :

أفطـــيم هـــل تـــدرين كـــم مـــن متلـــفٍ جـــاوزتُ لا مرعـــى ولا مســـكون

غوريـــــة نجديـــــة تصـــــعيده تصـــــويبه متشـــــابه ملعـــــون

يصف الطريق يقول : إنه متروك لا يسلك)[2].

ب- معنى اللعن شرعا :

أقول : وعلى هذا فيكون معنى اللعن اصطلاحا كالتالي:

كلام أهل العلم يدل على أن من دعا على شخصٍ باللعن فمعناه :

اللهم اطرد فلانا وأبعده عن رحمتك ومقتضى اللعن إذا استجيب أن لايوفق هذا الملعون لأي عمل صالح يحصل به رحمة الله عليه ومقتضى اللعن كذلك إذا استجاب الله دعوة اللاعن أن تزين للملعون المعاصي التي تجلب عليه غضب ربه فمن استحق اللعن واستجيب في حقه فقد أصابه الخذلان وهو الحرمان من الأعمال الصالحة وتسهيل المعاصي عليه ولاحول ولاقوة إلا بالله .

ومما يدل على هذا المعنى بوضوح أن الله لعن إبليس فطرده من رحمته وهاهو في سخط الله ويقود الناس إلى ما يسخط الله فنسأل الله العفو والعافية اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ونعوذ برضاك من سخطك .

قال أبو طالب المكي رحمه الله :

---

(١) انظر: لسان العرب ١٣ / ٣٨٧.

(٢) انظر: بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي ١/١٧١ .

(قال بعض السلف: ليست اللعنة سواداً في الوجه ونقصاً في المال إنما اللعنة أن لا يخرج من ذنب إلا وقع في مثله أو شّر منه وذلك أن اللعنة هي الطرد والبعد فإذا طرد من الطاعة فلم تيسر له وأبعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن)[1].

الأمر الثاني : مقدار إثم من لعن مؤمنا:

لما كان اللعن معناه الطرد من رحمة الرحمن سبحانه وتعالى والرحمة والسخط بيد الله لايملكها سواه كان إثم من لعن مؤمنا مشابها لإثم من قتله قال ﷺ **(منْ حلف على مِلّةٍ غيْرِ الإِسْلامِ فهُو كما قال وليْس على ابْنِ آدم نذْرٌ فيما لا يمْلِكُ ومنْ قتل نفْسهُ بِشيْءٍ في الدُّنْيا عُذِّب بِهِ يوْم الْقِيامةِ ومنْ لعن مُؤْمِنًا فهُو كقتْلِهِ ومنْ قذف مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فهُو كقتْلِه)**[2]

الأمر الثالث : أمثلة من المعاصي التي لعن الشارع عموم أصحابها :

على المسلم أن يحذر من الأعمال التي لعن الشا ع أصحابها فمنها على سبيل المثال:

١- الذبح لغير الله ولعن الوالدين وتغيير علامات الأرض وإيواء محدث كما في الحديث **(لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من غير منار الأرض لعن الله من آوى محدثا)**[3].

٢- أكل الربا وكتابته والشهادة عليه قال ﷺ :**(لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء)**[4].

٣- الخمر وأهلها قال ﷺ :**(لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها)**[5].

٤- النائحة الشاقة جيبها والقائلة مايسخط الله قال ﷺ **(لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور)**[6].

٥- الرشوة في الحكم لأكل أموال الناس بالباطل قال ﷺ: **(لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم)**[1]

---

(١) قوت القلوب لأبي طالب ٢٥٧/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٨/ ٤٧٨ .

(٣) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٠٩ برقم ٥١١٢عن علي رضي الله عنه .

(٤) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٠٧ رقم ٥٠٩٠ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) حديث صحيح : نفس المصدر السابق برقم ٥٠٩١ عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٦) حديث حسن : نفس المصدر السابق برقم ٥٠٩٢ عن أبي أمامة رضي الله عنه .

٦- تشبه الرجال بالنساء والعكس قال ﷺ: (لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء)[٢] وبمعناه أحاديث أخر بألفاظ متعددة .

٧- سرقة أموال الناس قال ﷺ (لعن اللهُ السارق يسرقُ البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده)[٣]

٨- الواشمة والمستوشمة والنامصة قال ﷺ: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)[٤]

٩- زائراتُ القبورِ من النساء قال ﷺ (لعن اللهُ زوّارات القبور)[٥]

١٠- المُحلِلُ والمُحللُ له قال ﷺ (لعن اللهُ المُحلِل والمُحلل له)[٦]

١١- سب صحابة النبي عليه الصلاة والسلام قال ﷺ (لعن الله من سب أصحابي)[٧]
وقال ﷺ (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[٨]

١٢- التمثيل بالحيوان قال ﷺ (لعن الله من مثل بالحيوان)[٩]

١٣- من أتى امرأة في غيرموضع الحرث قال ﷺ (ملعون من أتى امرأة في دبرها)[١٠]

١٤- المرأة التي يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى فعند البخاري عنه ﷺ : (إِذا دعا الرّجُلُ امْرأتهُ إِلى فِراشِه فأبتْ فبات غضْبان عليْها لعنتْها الْملائِكةُ حتّى تُصْبِح وفي رواية :حتى ترْجِع)[١١]

---

(١) حديث صحيح : نفس المصدر السابق برقم ٥٠٩٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح : نفس المصدر السابق ٢/ ٩٠٨برقم ٥١٠٠عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) حديث صحيح : نفس المصدر السابق برقم ٥٠٩٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) حديث صحيح : نفس المصدر السابق برقم ٥١٠٤ عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٥) حديث صحيح : نفس المصدر السابق برقم ٥١٠٩ عن حسان بن ثابت وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(٦) حديث صحيح : نفس المصدر برقم ٥١٠١ عن علي وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم .

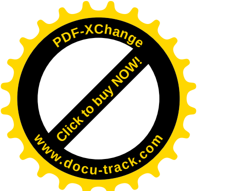
(٧) حديث حسن : نفس المصدر برقم ٥١١١ عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٨) حديث حسن : صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٧٧ برقم ٦٢٨٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٩) حديث صحيح : نفس المصدر برقم ٥١١٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(١٠) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٢٤ برقم ٥٨٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١١) أخرجه البخاري ك/ بدء الخلق ب/ ذكر الملائكة ١/ ٥٤٠ رقم ٣٢٣٧ وك/ النكاح ب/ إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ١/ ٩٢٩ رقم ٥١٩٣ و ٥١٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه .




١٥- السائل بوجه الله ملعون ومن لم يعط إذا سُئل بوجه الله ملعون قال ﷺ : **(ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله مالم يسأل هُجْرا)**(١)

١٦- من ضلل أعمى عن الطريق أو عمل عمل قوم لوط قال ﷺ : **(ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه ملعون من ذبح لغير الله ملعون من غير تخوم الأرض ملعون من كمّه أعمى عن طريق ملعون من وقع على بهيمة ملعون من عمل بعمل قوم لوط)**(٢)

١٧- من كتم علماً ينتفعُ به مما يجب بيانه لحاجة الناس إليه قال تعالى **﴿إِنّ الّذِين يكْتُمُون ما أنزلْنا مِن الْبيِّناتِ والْهُدى مِن بعْدِ ما بيّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الْكِتابِ أُولـئِك يلعنُهُمُ اللّهُ ويلْعنُهُمُ اللاعِنُون ﴾** (٣).

١٨- من أحدث في المدينة النبوية أو آوى محدثا فهو ملعون كما روى البخاري عنْ إِبْراهِيم التّيْمِيِّ عنْ أبِيهِ قال خطبنا علِيٌّ ﷺ فقال :**(ما عِنْدنا كِتابٌ نقْرؤُه إلا كِتاب اللّه تعالى وما فِي هذِهِ الصّحِيفةِ فقال فِيها الْجِراحاتُ وأسْنانُ الإِبِلِ والْمدِينةُ حرمٌ ما بيْن عيْرٍ إِلى كذا فمنْ أحْدث فِيها حدثًا أوْ آوى فِيها مُحْدِثًا فعليْهِ لعْنةُ اللّهِ والْملائِكةِ والنّاسِ أجْمعِين لا يُقْبلُ مِنْهُ صرْفٌ ولا عدْلٌ ومنْ تولّى غيْر موالِيهِ فعليْهِ مِثْلُ ذلِك وذِمّةُ الْمُسْلِمِين واحِدةٌ فمنْ أخْفر مُسْلِمًا فعليْهِ مِثْلُ ذلِك)**(٤).

١٩- من لعن شيئاً لايستحقُ اللعن عادت اللعنةُ عليه قال ﷺ :**(إِنّ الْعبْد إِذا لعن شيْئًا صعِدتْ اللّعْنةُ إِلى السّماءِ فتُغْلقُ أبْوابُ السّماءِ دُونها ثُمّ تهْبِطُ إِلى الأرْضِ فتُغْلقُ أبْوابُها دُونها ثُمّ تأْخُذُ يمِينًا وشِمالا فإِذا لمْ تجِدْ مساغًا رجعتْ إِلى الّذِي لُعِن فإِنْ كان لِذلِك أهْلا وإِلا رجعتْ إِلى قائِلِها)** (٥)

قال صاحب الفيض شارحا هذا الحديث :

---

(١) حديث حسن : صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٢٤ برقم ٥٨٩٠ عن أبي موسى رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٢٤ برقم ٥٨٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سورة البقرة : [١٥٩] .

(٤) أخرجه البخاري ك/ الفرائض ب/ إثم من تبرأ من مواليه ١/ ١١٦٦ برقم ٦٧٥٥ عن على رضي الله عنه .

(٥) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ك/الأدب ب/ في اللعن ١٣/ ٥٩ برقم ٤٢٥٩ عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

.

قوله عليه الصلاة والسلام **(إن العبد إذا لعن شيئا)** آدمياً أو غيره بأن دعى عليه بالطرد والبعد عن رحمة الله تعالى **(صَعِدتْ)** بفتح فكسر **(اللعنةُ إلى السماء)** لتدخلها **(فتغلق أبواب السماء دونها)** لأنها لا تفتح إلا لعمل صالح ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[1] **(ثم تهبط)** أي تنزل **(إلى الأرض)** لتصل إلى سجين **(فتغلق أبوابها دونها)** أي تمنع من النزول **(ثم تأخذ يمينا وشمالا)** أي تتحير فلا تدري أين تذهب **(فإذا لم تجد مساغا)** أي مسلكا وسبيلا تنتهي إليه لمحل تستقر فيه **(رجعت إلى الذي لعن)** بالبناء للمفعول بضبط المصنف **(فإن كان لذلك)** أي اللعنة **(أهلا)** رجعت إليه فصار مطرودا مبعودا فإن لم يكن أهلا لها **(رجعت)** بإذن ربها **(إلى قائلها)** لأن اللعن طرد عن رحمة الله فمن طرد ما هو أهل لرحمته عن رحمته فهو بالطرد والإبعاد عنها أحق وأجدر ، ومحصول الحديث التحذير من لعن من لا يستوجب اللعنة والوعيد عليه بأن يرجع اللعن إليه) انتهى كلامه [2].

٢٠- من اتخذ القبور مساجد فهو ملعون قال ﷺ **(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**[3].

٢١- قطيعة الأرحام من أعظم أسباب اللعن فمن قطع رحمه بإساءة أو هجر لعنه الله وأضله عن الحق وصرفه عن الهداية كما قال تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[4].

قال الشوكاني رحمه الله :

(قوله تعالى (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّه) : أي أبعدهم من رحمته وطردهم عنها

(فَأَصَمَّهُمْ) :عن استماع الحق)[5]

---

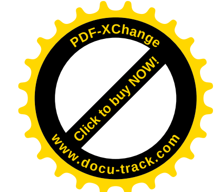
(١) سورة فاطر: [١٠] .

(٢) فيض القدير ٢/ ٤٦٩ .

(٣) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٠٩ عن أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم .

(٤) سورة محمد: [٢٢] و[٢٣] .

(٥) فتح القدير ٥/ ٥٠ .

وقال صاحب الكشاف : (لعنهُمُ اللّه) لإفسادهم وقطعهم أرحامهم فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن أبصار طريق الهدى)[1]

وقال تعالى ﴿ وما يُضلُّ بِه إلاّ الْفاسِقين، الّذين ينقُضُون عهْد اللّه من بعْد ميثاقِه ويقْطعُون ما أمر اللّهُ بِه أن يُوصل ويُفْسِدُون فِي الأرْضِ أُولئك هُمُ الْخاسِرُون ﴾[2]

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: (والذي رغب الله في وصْله وذمّ على قطعه في هذه الآية: الرحم) [3]

٢٢- من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دخل في اللعن قال تعالى ﴿ لُعِن الّذِين كفرُواْ مِن بنِي إِسْرائِيل على لِسانِ داوُود وعِيسى ابْنِ مرْيم ذلِك بِما عصوا وّكانُواْ يعْتدُون كانُواْ لا يتناهوْن عن مُّنكرٍ فعلُوهُ لبِئْس ما كانُواْ يفْعلُون ﴾[4]

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره:

(ذم الله تعالى هذه الفرقة الملعونة بأنهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ أي إنهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وإن نهى منهم ناه فعن غير جد ، بل كانوا لا يمتنع الممسك منهم عن مواصلة العاصي ومؤاكلته وخلطته ، وروى ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على ذنب نهاه عنه تعزيراً ، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون خليطه وأكيله ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ، قال ابن مسعود : وكان رسول الله متكئاً فجلس ، وقال : لا والله حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطراً) .

قال القاضي أبو محمد : والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه ونهى بمعروف وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين ، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه وأن لا يخالط ذا المنكر .

وقال حذاق أهل العلم : ليس من شروط الناهي أن يكون سليماً من المعصية ، بل ينهي العصاة بعضهم بعضاً ، وقال بعض الأصوليين : فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن

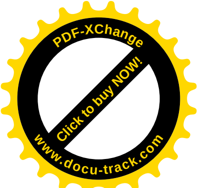
---

(١) الكشاف ١/ ١٠٢١ .

(٢) سورة البقرة الآيتان [٢٦و٢٧] .

(٣) جامع البيان ١/٤١٥ .

(٤) سورة المائدة الآيتان [٧٨-٧٩] .




ينهى بعضهم بعضاً واستدل قائل هذه المقالة بهذه الآية ، لأن قوله ﴿ يتناهون ﴾ و ﴿فعلوه﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي) انتهى بلفظه[١].

---

(١) تفسير المحرر الوجيز ٢ / ٣٢٧.

قال ابن كثير رحمه الله :

يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه، عليه السلام، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه.

قال العوْفِيّ، عن ابن عباس: لعنوا في التوراة و الإنجيل وفي الزبور، وفي الفرقان.

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: كان لا ينهي أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يُرْكب مثل الذي ارتكبوا، فقال: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾)[١]

الأمر الرابع : نفي كمال الإيمان عن الطّعان أو اللّعان أو الفَاحش :

ومن الوعيد على اللعن نفي الإيمان عن الطعان واللعان (ليس المؤمنُ بالطعانِ ولا اللعانِ ولا الفاحشِ ولاالبذيِّ)[٢].

قال صاحب الفيض شارحا لهذا الحديث:

(ليس المؤمن بالطَّعانِ) أي: الوقّاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة، قال في الأساس : ومن المجاز طعن فيه، وعليه وهو طعان في أعراض الناس قال ابن العربي : وإنما سماه طعنا لأن سهام الكلام كسهام النصال حسا وجرح اللسان كجرح اليد (ولا اللعانِ) أي الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة ربهم إما صريحا كأن يقول لعنة الله على فلان أو كناية كغضبه عليه أو أدخله النار ذكـ ه الطيبي (ولا الفاحش) أي ذي الفحش في كلامه وفعاله قال ابن العربي : والفحش الكلام بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين (ولا البذيِّ) أي الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقا) انتهى كلامه[٣]

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٠-١٦١ .

(٢) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٤٩ برقم ٥٣٨١ عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) فيض القدير ٥/ ٤٥٩ .

أحكام تتعلق باللعن :

الحكم الأول : جواز لعن بعض العصاة على سبيل العموم :

قال النووي رحمه الله تعالى (اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، ولعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين، ونحو ذلك)(١).

الحكم الثاني : عدم جواز لعن المعين من أهل المعاصي على الأرجح :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى (وأما لعن الإنسان بعينه ممن اتصف بشيئ من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زانٍ أو مصور أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام وأشار الغزالي إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى وما ندري مايختم به لهذا الفاسق أو الكافر)(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين :

(فإذا رأيت من آوى محدثا فلا تقل : لعنك الله بل قل : لعن الله من آوى محدثا على سبيل العموم والدليل على ذلك أن النبي ﷺ لما صار يلعن أناسا من المشركين من أهل الجاهلية بقوله (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا) نُهي عن ذلك بقوله تعالى ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾(٣) فالمعينُ ليس لك أن تلْعنه وكم من إنسانٍ صارَ على وصفٍ يستحق به اللعنة ثم تاب فتاب اللهُ عليه) انتهى بلفظه(٤).

أقول : ومن حيث الدليل فقول الغزالي وابن عثيمين أقوى وأرجح فلعن المعين لايجوز والله الموفق.

الحكم الثالث : هل يصلح الاستثناء في اللعن :

قال الإمام النووي رحمه الله (حكى أبو جعفر النحاس : عن بعض العلماء أنه قال : إذا لعن الإنسان مالا يستحق اللعن فليبادر بقوله : إلا أن يكون لايستحق)(٥).

---

(١) الأذكار ١/ ٥٠٤ .
(٢) الأذكار ١/ ٥٠٤ و٥٠٥ .
(٣) سورة آل عمران آية [١٢٨] .
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٢٢٦،٢٢٧ .
(٥) الأذكار ١/ ٥٠٥ .

أقول: قد ورد في الشريعة استثناء اليمين وأن من حلف على شيئ فقال : إن شاء الله فقد استثنى ولاحنث عليه فلعل بعض أهل العلم قاس هذا على ذاك والله أعلم.

الحكم الرابع : من لعن مسلما بغير حق لزمه الدعاء له بالرحمة والمغفرة :

أقول : قد جاءت الأحاديث بالوعيد على من لعن شيئا لايستحق اللعنو أن اللعنة تعود على اللاعن كما تقدم والنبي عليه الصلاة والسلام دعا لكل مسلم سبه أولعنه بالمغفرة والرحمة ولنا به كامل القدوة فقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت :

(دخل على رسُولِ اللّهِ ﷺ رجُلانِ فكلّماهُ بِشيْءٍ لا أدْرِي ما هُو فأغْضباهُ فلعنهُما وسبّهُما فلمّا خرجا قُلْتُ: يا رسُول اللّهِ منْ أصاب منْ الْخيْرِ شيْئًا ما أصابهُ هذانِ، قال: وما ذاك؟ قالتْ: قُلْتُ: لعنْتهُما وسببْتهُما، قال: أو ما علِمْت ما شارطْتُ عليْهِ ربِّي قُلْتُ: اللّهُمّ إِنّما أنا بشرٌ فأيُّ الْمُسْلِمِين لعنْتُهُ أوْ سببْتُهُ فاجْعلْهُ لهُ زكاةً وأجْرًا)[1].

قال النووي رحمه الله تعالى : (قوْله ﷺ : **(اللّهُمّ إِنّما أنا بشر ، فأيّ الْمُسْلِمِين لعنْته أوْ سببْته فاجْعلْهُ لهُ زكاة وأجْرًا)** وفِي رِواية : **(أوْ جلدْته فاجْعلْها لهُ زكاة ورحْمة)**

وفِي رِواية : **(فأيّ الْمُؤْمِنِين آذيْته شتمْته لعنْته جلدْته اِجْعلْها لهُ صلاة وزكاة وقُرْبة تُقرِّبهُ بِها إِليْك يوْم الْقِيامة)** وفِي رِواية : **(إِنّما مُحمّد بشر يغْضب كما يغْضب الْبشر ، وإِنِّي قدْ اِتّخذْت عِنْدك عهْدًا لنْ تُخْلِفنِيهِ ، فأيّما مُؤْمِن آذيْته أوْ سببْته أوْ جلدْته فاجْعلْها لهُ كفّارة وقُرْبة)** وفِي رِواية : **(إِنِّي اِشْترطْت على ربِّي فقُلْت: إِنّما أنا بشر أرْضى كما يرْضى الْبشر، وأغْضب كما يغْضب الْبشر،فأيّما أحد دعوْت عليْهِ مِنْ أُمّتِي بِدعْوةٍ ليْس لها بِأهْلٍ أنْ تجْعلها لهُ طهُورًا وزكاةً وقُرْبة)**.

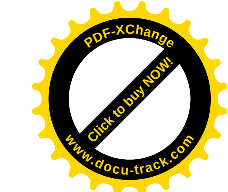
هذِهِ الأحادِيث مُبيِّنة ما كان عليْهِ ﷺ مِنْ الشّفقة على أُمّته، والاعْتِناء بِمصالِحِهِمْ، والاحْتِياط لهُمْ، والرّغْبة فِي كُلّ ما ينْفعهُمْ .

وهذِهِ الرِّواية الْمذْكُورة آخِرًا تُبيِّن الْمُراد بِباقِي الرِّوايات الْمُطْلقة ، وأنّهُ إِنّما يكُون دُعاؤُهُ عليْهِ رحْمة وكفّارة وزكاة ونحْو ذلِك إِذا لمْ يكُنْ أهْلًا لِلدُّعاءِ عليْهِ والسّبّ واللّعْن ونحْوه ، وكان مُسْلِمًا ، وإِلا فقدْ دعا ﷺ على الْكُفّار والْمُنافِقِين ، ولمْ يكُنْ ذلِك لهُمْ رحْمة.

فإِنْ قِيل : كيْف يدْعُو على منْ ليْس هُو بِأهْلِ الدُّعاء عليْهِ أوْ يسُبّهُ أوْ يلْعنهُ ونحْو ذلِك ؟

---

(١) أخرجه مسلم ك/ ب/من لعنه النبي ﷺ ٤٩٦/٢١ عن عائشة رضي الله عنها.

فالْجواب ما أجاب بِهِ الْعُلماء، ومُخْتصره وجْهانِ:

أحدهما: أنّ الْمُراد ليْس بِأهْلٍ لِذلك عِنْد اللّه تعالى، وفِي باطِن الأمْر، ولكِنّهُ فِي الظّاهِر مُسْتوْجِب لهُ ، فيظْهر لهُ ﷺ اسْتِحْقاقه لِذلِك بِأمارةٍ شرْعِيّة ، ويكُون فِي باطِن الأمْر ليْس أهْلا لِذلِك ، وهُو ﷺ مأْمُور بِالْحُكْمِ بِالظّاهِرِ ، واللّه يتولّى السّرائِر.

والثّانِي: أنّ ما وقع مِنْ سبّه ودُعائِهِ ونحْوه ليْس بِمقْصُودٍ ، بلْ هُو ممّا جرتْ بِهِ عادة الْعرب فِي وصْل كلامها بِلا نِيّة ، كقوْلِهِ : **(ترِبتْ يمِينك)**،**(عقْرى حلْقى)** وفِي هذا الْحدِيث **(لا كبِرتْ سِنّك)** وفِي حدِيث مُعاوِية **(لا أشْبع اللّه بطْنك)** ونحْو ذلِك لا يقْصِدُون بِشيْءٍ مِنْ ذلِك حقِيقة الدُّعاء ، فخاف ﷺ أنْ يُصادِف شيْء مِنْ ذلِك إجابة ، فسأل ربّه سُبْحانه وتعالى ورغِب إليْهِ فِي أنْ يجْعل ذلِك رحْمة وكفّارة ، وقُرْبة وطهُورًا وأجْرًا ، وإِنّما كان يقع هذا مِنْهُ فِي النّادِر والشّاذّ مِن الأزْمان ، ولمْ يكُنْ ﷺ فاحِشًا ولا مُتفحِّشًا ولا لعّانًا ولا مُنْتقِمًا لِنفْسِهِ ، وقدْ سبق فِي هذا الْحدِيث أنّهُمْ قالُوا : ادْعُ على دوْس ، فقال : **" اللّهُمّ اِهْدِ دوْسًا "** وقال : " اللّهُمّ اغْفِرْ لِقوْمِي فإِنّهُمْ لا يعْلمُون " واللّه أعْلم)[1].

أقول : فمن لعن شيئا لايستحق اللعن فليدع له بالرحمة والمغفرة عملا بهذا الحديث ولأن من دعا بشيئ لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك مثله وبالله التوفيق .

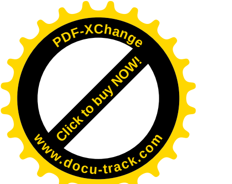
<u>الآفة الخامسة عشرة : كثرة الحلف واليمين الغموس :</u>

من الأمور المنهي عنها كثرة الحلف، ولو كان المرء صادقا سواء كان الحلف أثناء البيع والشراء أو الحديث قال تعالى ﴿**واحْفظُواْ أيْمانكُمْ كذلِك يُبيِّنُ اللّهُ لكُمْ آياتِهِ لعلّكُمْ تشْكُرُون** ﴾[2] ،وقال تعالى ﴿ **ولا تجْعلُواْ اللّه عُرْضةً لِّأيْمانِكُمْ أن تبرُّواْ وتتّقُواْ وتُصْلِحُواْ بيْن النّاسِ واللّهُ سمِيعٌ علِيمٌ** ﴾[3]

قال أبو حيان رحمه الله :(واختلفوا في فهم هذه الجملة من قوله ﴿ **ولا تجْعلُواْ اللّه عُرْضةً لِّأيْمانِكُمْ** ﴾[4] وهو خلاف مبنى على الاختلاف في اشتقاق الْعُرْضة ، فقيل : نهوا عن أن يجعلوا الله معداً لأيمانهم فيحلفوا به في البر والفجور ، فإن الحنث مع الإكثار فيه قلة رعي

---

(١) شرح النووي على مسلم ٨/٤١٤ .
(٢) سورة المائدة: [٨٩] .
(٣) سورة البقرة : [٢٢٤] .
(٤) سورة البقرة : [٢٢٤] .




بحق الله تعالى ، كما روي عن عائشة أنها نزلت في تكثير اليمين بالله ، نهى أن يحلف الرجل به براً فكيف فاجراً؟

وقد ذم الله من أكثر الحلف بقوله : ﴿ ولا تُطِعْ كُلّ حلافٍ مّهِينٍ ﴾[١] وقال تعالى ﴿ واحْفظُواْ أيْمانكُم ﴾[٢]والعرب تمدح بالإقلال من الحلف قال كُثّير :

قليـــل ألألايـــا حـــافظٌ ليمينـــه ... إذا صـــدرتْ منـــهُ الأليـــةُ بـــرتِ

والحكمة في النهي عن تكثير الأيمان بالله أن ذلك لا يبقي لليمين في قلبه وقعاً ، ولا يؤمن من إقدامه على اليمين الكاذبة ، وذكُر اللهِ أجلُّ من أنْ يستشهد به في الأعراض الدنيوية .

وقيل : المعنى : ولا تجعلوا الله قوة لأيمانكم ، وتوكيداً لها ، وروي عن قريب من هذا المعنى عن : ابن عباس ، وإبراهيم ، ومجاهد ، والربيع ، وغيرهم قال : المعنى : فيما تريدون الشدة فيه من ترك صلة الرحم ، والبر والإصلاح.

وقيل : المعنى : ولا تجعلوا الله حاجزاً ومانعاً من البر والإصلاح ، ويؤكده قول من قال : نزلت في عبد الله بن رواحة ، أو في أبي بكر على ما تقدم في سبب النزول ، فيكون المعنى : أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم ، وإصلاح ذات بين ، أو إحسان الى أحد ، أو عبادة ، ثم يقول : أخاف الله أن أحنث في يميني ، فيترك البر في يمينه ، فنهوا أن يجعلوا الله حاجزاً لما حلفوا عليه) انتهى بلفظه[٣].

أقول : ففي هاتين الآيتين أمر ونهي أمر بحفظ الأيمان ونهي عن الاستكثار منها عموماً .

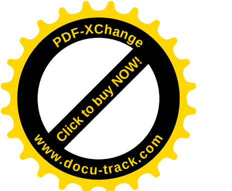
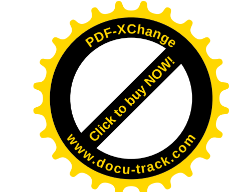
وقد جاء في الحديث النهي عن كثرة اليمين في البيع قال ﷺ : **(الْحلِفُ مُنفّقةٌ لِلسِّلْعةِ مُمْحِقةٌ لِلْبركةِ)**[٤]

قال الحافظ في الفتح قال القرطبي : المحدثون ينطقونهما مشددتين والصواب التخفيف : منْفقةٌ وممْحقةٌ) انتهى كلام الحافظ .

أقول : وأعظم الأيمان إثما اليمين الغموس فهي من أكبر الكبائر ولذلك بوب لها البخاري بقوله باب الْيمِينِ الْغمُوسِ ثم ذكر قوله تعالى : ﴿ ولا تتّخِذُوا أيْمانكُمْ دخلا بيْنكُمْ فتزِلّ قدمٌ

---

(١) سورة القلم : [١٠] .
(٢) سورة المائدة: [٨٩] .
(٣) البحر المحيط ٢/ ٣٧٥ .
(٤) أخرجه البخاري ك/ ب/ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ٧/ ٢٦١ .

بعْد ثُبُوتِها وتذُوقُوا السُّوء بِما صددْتُمْ عنْ سبِيلِ اللّهِ ولكُمْ عذابٌ عظِيمٌ ﴾[١] ،ومعنى دخلا: مكْرًا وخِيانةً)[٢].

ثم ساق الحديث عنْ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النّبِيِّ ﷺ قال : **(الْكبائِرُ الإِشْراكُ بِاللّهِ، وعُقُوقُ الْوالِدِيْنِ، وقتْلُ النّفْسِ، والْيمِينُ الْغمُوسُ)**[٣].

فماهي يمين الغَمُوس ولماذا سُميت بهذا الاسم ؟!

يقول ابن الأثير رحمه الله:(هي اليمينُ الكاذِبةُ الفاجرةُ كالتي يقْتطِع بها الحالفُ مال غيره وسُمِّيت غمُوسا لأنها تغْمِس صاحِبها في الإثْمِ ثُمّ في النار وفعُول للمُبالغة)[٤].

أقول : ولأن اليمين الغموس عظيمة الإثم يعجل الله العقاب لصاحبها في الدنيا كما قال ﷺ **(ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم، و ليس شيء أعجلُ عقاباً من البغي، وقطيعةِ الرحم،و اليمينُ الفاجرةُ تدعُ الديار بلاقع)** وفي رواية **(إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحمو إن أهل البيت ليكونون فجارا ، فتنموا أموالهم، و يكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم، و إن أعجل المعصية عقوبة البغي،و الخيانة و اليمين الغموس يذهب المال ويثقل في الرحم، و يذر الديار بلاقع)**[٥].

من كلام العلماء في شرح الحديث :

قال صاحب الفيض:

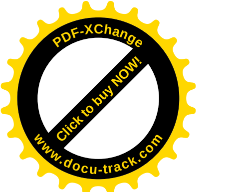
قوله **(ليس شئ أطيع الله تعالى فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم)** أي: الإحسان إلى الأقارب بقول أو فعل .

(وليس شئ أعجل عقابا من البغي) أي التعدي على الناس

(وقطيعة الرحم) بنحو إساءة أو هجر

---

(١) سورة النحل : [٩٤] .
(٢) أخرجه البخاري ك/ ب/ اليمين الغموس ٢٠ / ٣٦٦ .
(٣) أخرجه البخاري ك/ ب/ اليمين الغموس ٢٠/ ٣٦٧ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٧٢٣ .
(٥) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٦٩ حديث رقم ٩٧٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه .




(واليمين الفاجرة) أي الكاذبة (تدع) أي تترك (الديار بَلَاقِع) بفتح الباء واللام وكسر القاف جمع بلقع، وهي الأرض القفراء التي لا شئ فيها يريد أن الحالف يفتقُر ويذهبُ ما في بيته من الرزقِ، وقيل: هو أن يفرق الله شمله ويغيُر عليه ما أولاه من نعمه)(١).

وقال ابن نجيم رحمه الله عن معنى قوله ﷺ :(والْيمِينُ الْغمُوسُ تدعُ الدِّيار بلاقِع) (وهِي جمْعُ بلْقعٍ، وهِي الْقفْر، وهُو الأرْضُ الّتِي لا نبات فِيهلو لا ماء يعْنِي أنّها تُخرِّبُ الدِّيار بِالْموْتِ والْجلاءِ)(٢).

أقول : قوله (ويثقلُ في الرحم) لم أقف على من شرحها من أهل العلم، ولكن يبدو لي أن معناها قلة الولد أو العقم عنه لأن زينة الدنيا المال والولد فمن حلف بالله كاذبا لايفعل ذلك إلا حرصا على الدنيا فيعاقبه الله بسلب زينتها عنه جزاء وفاقاً، هذا ماظهر لي والله أعلم بالصواب .

وبالنسبة لكفارة اليمين الغموس،فالجمهور على أنه لاكفارة فيها لأنها أعظم من أن تُكَفّر وذهب البعض إلى وجوب الكفارة فيها لأنها يمينٌ منعقدةٌ باسم من أسماء الله(٣)والأقرب من كلام أهل العلم أنه لاكفارة لها إلا مع التوبة النصوح ورد الحقوق، والله الموفق.

الآفة السادسة عشرة : الشهادة من غير حاجة :

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال ﷺ :(خيْركُمْ قرْنِي ثُمّ الّذِين يلُونهُمْ ثُمّ الّذِين يلُونهُمْ قال عِمْرانُ لا أدْرِي أذكر النّبِيُّ ﷺ بعْدُ قرْنيْنِ أوْ ثلاثةً قال النّبِيُّ ﷺ: إنّ بعْدكُمْ قوْمًا يخُونُونو لا يؤْتمنُون ويشْهدُونو لا يُستشْهدُون وينْذُرُونو لا يفُون، ويظْهرُ فِيهِمْ السِّمنُ)(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عنْ النّبِيِّ ﷺ **قال**:(خيْرُ النّاسِ قرْنِي ثُمّ الّذِين يلُونهُمْ ثُمّ الّذِين يلُونهُمْ ثُمّ يجِيءُ أقْوامٌ تسْبِقُ شهادةُ أحدِهِمْ يمِينهُ ويمِينُهُ شهادتهُ قال إِبْراهِيم : وكانُوا يضْرِبُوننا على الشّهادةِ والْعهْدِ)(٥).

---

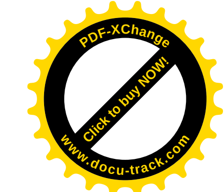
(١) انظر: فيض القدير ٥/٤٦٥ .

(٢) انظر: طِلبة الطلبة ٢/ ٢٧٠.

(٣) انظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١١/١٨٠) تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة أبو محمد المقدسي - الناشر : دار الفكر – بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ.

(٤) أخرجه البخاري ك/ الشهادات ب/ لايشهد على شهادة جور ٩/ ١٣٢ .

(٥) أخرجه البخاري ك/ الشهادات ب/ لايشهد على شهادة جور ٩/ ١٣٣ .

قال الحافظ في فتح الباري : (قَوْلُهُ : (**ويشْـهدُونو لا يُسْتشْـهدُون**)يحتمل أن يكون المراد التحمل بدون التحميل أو الأداء بدون طلب ، والثاني أقرب ويعارضه ما رواه مسلم من حديث زيد بن خالد مرفوعًا " **ألا أخبركم بخير الشـهداء ؟ الـذي يـأتي بالشـهادة قبـل أن يسـألها** " واختلف العلماء في ترجيحهما فجنح ابن عبد البر إلى ترجيح حديث زيد بن خالد لكونـه من رواية أهل المدينة فقدمه على رواية أهل العراق وبالغ فزعم أن حديث عمران هذا لا أصل له، وجنح غيره إلى ترجيح حديث عمران لاتفاق صاحبي الصحيح عليه وانفراد مسلم بإخراج حديث زيد بن خالد.

وذهب آخرون إلى الجمع بينهما فأجابوا بأجوبة :

أحدها: أن المراد بحديث زيد : من عنده شهادة لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها فيأتي إليه فيخبره بها أو يموت صاحبها العالم بها ويخلف ورثةً فيأتي الشاهد إليهم أو إلى من يتحدث عنهم فيعلمهم بذلك وهذا أحسن الأجوبة وبهذا أجاب يحيى بن سعيد شيخ مالك ومالك وغيرهما.

ثانيها: أن المراد به شهادة الحسبة وهي ما لا يتعلق بحقوق الآدميين المختصة بهم محضًا، ويدخل في الحسبة مما يتعلق بحق الله أو فيه شائبة منه العتاق والوقف والوصية العامة والعدة والطلاق والحدود ونحو ذلك ، وحاصله أن المراد بحديث ابن مسعود الشهادة في حقوق الآدميين ، والمراد بحديثز يد بن خالد الشهادة في حقوق الله.

ثالثها: أنه محمول على المبالغة في الإجابة إلى الأداء فيكون لشدة استعداده لها كالذي أداها قبل أن يسألها كما يقال في وصف الجواد : إنه ليعطي قبل الطلب أي يعطي سريعًا عقب السؤال من غير توقف.

وهذه الأجوبة مبنية على أن الأصل في أداء الشهادة عند الحاكم أن لا يكون إلا بعد الطلب من صاحب الحق فيخص ذم من يشهد قبل أن يستشهد بمن ذكر ممن يخبر بشهادة عنده لا يعلم صاحبها بها أو شهادة الحسبة.

وذهب بعضهم إلى جواز أداء الشهادة قبل السؤال على ظاهر عموم حديث زيد بن خالد ، وتأولوا حديث عمران بتأويلات :

أحدها :أنه محمول على شهادة الزور أي يؤدون شهادةً لم يسبق لهم تحملها وهذا حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم .

ثانيها: المراد بها الشهادة في الحلف يدل عليه قول إبراهيم في آخر حديث ابن مسعود " كانوا يضربوننا على الشهادة " أي قول الرجل : أشهد بالله ما كان إلا كذا على معنى الحلف فكره ذلك كما كره الإكثار من الحلف ، واليمين قد تسمى شهادةً كما قال تعالى : ﴿ **فشهادة أحدهم** ﴾[١]،و هذا جواب الطحاوي.

ثالثها : المراد بها الشهادة على المغيب من أمر الناس فيشهد على قوم أنهم في النار وعلى قوم أنهم في الجنة بغير ذلك كما صنع ذلك أهل الأهواء حكاه الخطابي.

رابعها : المراد به من ينتصب شاهداً وليس من أهل الشهادة .

خامسها : المراد به التسارع إلى الشهادة وصاحبها بها عالم من قبل أن يسأله ، والله أعلم .

وقوله : " **يشهدون و لا يستشهدون** " استدل به على أن من سمع رجلا يقول : لفلان عندي كذا فلا يسوغ له أن يشهد عليه بذلك إلا إن استشهده وهذا بخلاف من رأى رجلا يقتل رجلا أو يغصبه ماله فإنه يجوز له أن يشهد بذلك ، وإن لم يستشهده الجاني)[٢].

---

(١) سورة النور : ٦.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ١٦٠ .




يقول العلامة سعيد حوى - رحمه الله تعالى - في المستخلص في تزكية الأنفس:

<u>الآفة السابعة عشرة : الكلام فيما لايعني:</u>

فعن أنس ﷺ قال : توفي رجل فقال رجل آخر ورسول الله ﷺ يسمع أبشر بالجنة ! فقال رسول الله ﷺ : أو لا تدري فلعله تكلَم فيما لا يعنيه أو بخلَ بما لا ينقصه)[١].

قال الأحوذي في شرح الترمذي :

قوله (فيما لايعنيه) أيْ ما لا يحْتاجُ إِلَيْهِ فِي ضَرُورَةِ دِينِهِ ودُنْيَاه)[٢].

قال الغزالي رحمه الله :

وترك مالايعني من الكلام : معناه أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم يضرك في حال ولا مآل [٣]

<u>الآفة الثامنة عشرة : فضول الكلام :</u>

ومعنى فضول الكلام عند الغزالي رحمه الله : أنه إذا حصل المقصود بكلمة واحدة فكلامك بكلمتين فضول وإن لم يكن فيه إثم ، قال عطاء بن أبي رباح : (إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله وسنة رسوله أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)[٤].

<u>الآفة التاسعة عشرة : الخوض في الباطل :</u>

قال تعالى ﴿وكُنّا نخُوضُ مع الْخائِضِين ﴾[٥]

---

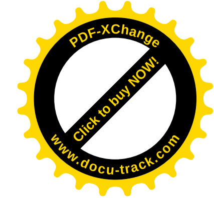
(١) حديث صحيح لغيره : صححه الألباني في صحيح الترغيب ٣/٦٠ رقم ٢٨٨٢ ورقم ٢٨٨٣ ورقم ٢٨٨٤ عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٦/ ١٠١ .

(٣) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس(١/ ٣٨٥) تأليف: سعيد بن محمد ديب حوى- الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(٤) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس ١/ ٣٨٧ .

(٥) سورة المدثر :[٤٥] .

ومما يراه الغزالي داخلا في معنى الخوض : الكلام في المعاصي مثل حكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء والملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة)[١]

الآفة العشرون : المراء والجدال المذموم :

ومن آفات اللسان العظيمة التي ينبغي التخلص منها الجدال والمراء لمجرد إظهار الفضل والترفع على الغير وأما الجدال بالتي هي أحسن لإظهار الصواب فقد تقدم معنا أنه من وظائف اللسان في شريعة الإسلام وأما الجدال والمراء الذي يورث البغضاء والتشاحن وتفريق القلوب فقد نهى الله عنه في الحج فقال تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [٢]

وأخبر النبي ﷺ أن هذا النوع من الجدال عقوبة من الله تعالى يعاقب بها من شاء ففي الحديث قال ﷺ : **(ماضلّ قومُ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)**[٣].

بل جعل النبي ﷺ جزاء التارك للمراء ولو كان محقا بيتا في الجنة حيث يقول ﷺ: **(أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء و إن كان محقا ، و بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب و إن كان مازحا ، و بيت في أعلى الجنة لمن حسُن خلُقُه)**[٤].

أقول : لأن ما يترتب على المراء من فساد ذات البين والتشاحن والبغضاء بين القلوب مفسدة أعظم من مصلحة إظهار الصواب في مسألة بعينها والله أعلم .

وإليك ماقاله العلماء في تعريف الجدال والمراء :

أولاً : تعريفُ الجدال :

قال الجرجاني رحمه الله : (الجدال : عبارة عن مِرِاء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها)[٥]

---

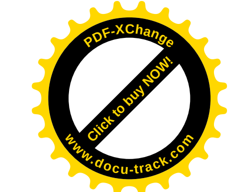
(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس ١/ ٣٨٩ .

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

(٣) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٨٤ رقم ٥٦٣٣ عن أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) حديث صحيح : السلسلة الصحيحة ١/ ٥٥٢ .

(٥) انظر: التعريفات ١/٢٤.

قال ابن عطية في المحرر الوجيز :

(الجدال ، وهو المراجعة في الحجة والمخاصمة والمقابلة بالأقوال حتى تقع الغلبة ، وهو مأخوذ من الجدل وهو شدة الفتل ومنه : حبل مجدول ، أي ممرّ ، ومنه قيل للصقر أجدل لشدة بنيته وفتل أعضائه)[١] **وقال الغزالي رحمه الله :**

(وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يحب أن يكون هو المظهر له خطأ ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لايأثم به لو سكت عنه)[٢].

ثانيا : تعريف المراء :

قال ابن الأثير رحمه الله : (المِراءُ : الْجِدالُ والتّمارِي والُمماراةُ : المُجادلةُ على مذهب الشّكِّ والرِّيبة ويقالُ لْلمُناظرة : مُماراة لأن كلّ واحِدٍ منهما يسْتخْرجُ ما عند صاحِبه ويمْترِيه كما يمْترى الحالِبُ اللّبَن من الضّرْعِ)[٣].

قال أبو السعود رحمه الله : (المراءِ :هو الملاحاةُ والمجادلةُ واشتقاقُه من مرى الناقة كأنّ كلاً من المتجادلين يمرِي ما عند صاحبِه)[٤].

قال الغزالي رحمه الله :(وحد المراء : كل اعتراض على كلام الغير لإظهار خلل فيه إما في اللفظ أو المعنى أو قصد المتكلم)[٥].

قال ابن عطية رحمه الله في تفسير قوله تعالى :

﴿قالُواْ يا نُوحُ قدْ جادلْتنا فأكْثرْت جِدالنا فأْتِنا بِما تعِدُنا إِن كُنت مِن الصّادِقِين﴾[٦]:

(ومن الجدال ما هو محمود ، وذلك إذا كان مع كافر حربي في منعته ويطمع في الجدال أن يهتدي ، ومن ذلك هذه الآية ، ومنه قوله تعالى **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾**[٧]إلى غير ذلك من الأمثلة ومن الجدال ما هو مكروه ، وهو ما يقع بين المسلمين بعضهم في بعض في

---

(١) انظر:تفسير المحرر الوجيز ٣/٤١٦ .
(٢) انظر:المستخلص في تزكية الأنفس ١/ ٣٩١ .
(٣) انظر:النهاية في غريب الحديث ٤/ ٦٨٤ .
(٤)انظر:تفسير أبي السعود ٦/٢٢٣ .
(٥) انظر:المستخلص ١/ ٣٩١ .
(٦) سورة هود :[٣٢] .
(٧) سورة النحل آية [١٢٥] .

طلب علل الشرائع وتصور ما يخبر الشرع به من قدرة الله ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وكرهه العلماء ، والله المستعان)[١]

الآفة الواحدة والعشرون : إفشاء السر :

إفشاء السر الذي يؤتمن عليه الإنسان لايجوز وحفظ السر أمانة لايبعد دخوله في قوله تعالى ﴿ والّذِين هُمْ لأماناتِهِمْ وعهْدِهِمْ راعُون ﴾[٢]

أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال **(إذا حدث الرجلُ الحديث ثُمّ التفت فهي أمانةٌ)**[٣]

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحكم بن عطية قال : سمعت الحسن يقول : (إذا حدث الرجل الرجل بحديث وقال : اكتم علّي ، فهي أمانةٌ)[٤]

أقول : وبناءاً على هذه الأدلة لايجوز لمسلم أن يُفشي سراً أوتمن عليه، ومما ينسب إلى علي رضي الله عنه قوله :

لاتفش سراًماستطعت إلى امرئ .... يفشي إليك سرائرا يستودع
فكما تراه بسر غيرك صانعا ....فكذا بسرك لامحالة يصنع
لاتبدأن بمنطق في مجلس ....قبل السؤال فإن ذلك يشنع
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى ....ولعله خرق سفيه أرقع
ودع المزاح فرب لفظة مازح .... جلبت إليك بلابلا لاتدفع
وحفاظ جار لاتضعه فإنه .... لايبلغ الشرف الجسيم مضيع
وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة .....فأقله إن ثواب ذلك أوسع
وإذا ائتمنت على السرائر فاخفها ..واسترعيوب أخيك حين تطلّع[٥]

الآفة الثانية والعشرون : الفحش والسب :

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٧ .

(٢) سورة المعارج آية: [٣٢] .

(٣) حديث حسن : أخرجه الترمذي ك/ البر والصلة ب/ ماجاء أن المجالس بالأمانة ١/ ٣٢٨ رقم ١٩٥٩ وأبوداود ك/الأدب ب/ في نقل الحديث ١٣/ ٩ رقم ٤٢٢٥ حسنه الألباني في سنن الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٢ .

(٥) جواهر الأدب ١/ ٤٨٠ .

إن من أعظم آفات اللسان الفحشُ، والسبُ فكثير من الناس يسب كل شيئ يسب ولده وصديقه ونفسه أحيانا وليس من صفات المؤمن الكامل في الإيمان السب واللعن والطعن كما قال عليه الصلاة والسلام **(ليس المؤمن بالطّعانِ ولا اللّعانِ ولا الفاحش ولاالبذئ)**[(١)]،

وجعل النبي ﷺ سباب المسلم لأخيه فسقاً فقال ﷺ :**(سِبابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتالُهُ كُفْرٌ)**[(٢)]

وشر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه فعن عائشة رضي الله عنها قالت :

اسْتأْذن رجُلٌ على رسُولِ اللّهِﷺ فقال :

(ائْذنُوا لهُ بِئْس أخُو الْعشِيرةِ أوْ ابْنُ الْعشِيرةِ !!

فلمّا دخل ألان لهُ الْكلام قُلْتُ يا رسول اللّهِ قُلْت الّذِي قُلْت ثُمّ ألنْت لهُ الْكلام قال:

أيْ عائِشةُ إِنّ شرّ النّاسِ منْ تركهُ النّاسُ أوْ ودعهُ النّاسُ اتِّقاء فُحْشِهِ)[(٣)]

<u>الآفة الثالثة والعشرون : الخصومة :</u>

من آفات اللسان الخبيثة الخصومة ويعرفها الإمام الغزالي بقوله :

(والخصومة لجاج في الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود)[(٤)]

وقد جاء ذم الخصومة على لسان النبي ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها قالتْ : قال رسُولُ اللّهِﷺ :**(إِنّ أبْغض الرِّجالِ إِلى اللّهِ الألدُّ الْخصِمُ)** [(٥)]

قال النووي رحمه الله تعالى :

(الْخصِم)هُو بِفتْحِ الْخاء وكسْر الصّاد ، و(الألدّ) شدِيد الْخُصُومة مأْخُوذ منْ لدِيديْ الْوادِي وهُما جانِباهُ ؛ لِأنّهُ كُلّما اُحْتُجّ عليْهِ بِحُجّةٍ أخذ فِي جانِب آخر .

وأما (الخصم) فهو الحاذق بالخصومة ، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق ، أو إثبات باطل والله أعلم[(٦)]

قال الأحوذي رحمه الله تعالى في شرح الترمذي :

قوله : (أبغض الرجال إلى الله)

---

(١) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير(٢/ ٩٤٩) رقم(٥٣٨١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

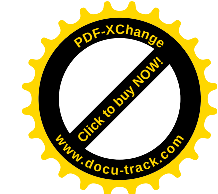
(٢) أخرجه البخاري ك/ ب/ خوف المؤمن من أن يحبط عمله (١/٨٤) .

(٣) أخرجه البخاري ك/ ب/ مايجوز من اغتياب أهل الريب(١٨/٤٨٩) رقم (٥٥٩٤)عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس (١/ ٣٩١).

(٥) أخرجه البخاري ك/ المظالم ب/ قول الله تعالى (و هو ألد الخصام)(٢٢/ ١٢٢) عن عائشة رضي الله عنها .

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم(٩/ ٢٤).

قال الكرماني : الأبغض هو الكافر ، فمعنى الحديث أبغض الرجال الكفار الكافر المعاند ، أو أبغض الرجال المخاصمين قال الحافظ ابن حجرٍ : والثاني هو المعتمد ، وهو أعم من أن يكون كافرا أو مسلما فإن كان كافرا فأفعل التفضيل في حقه على حقيقتها في العموم ، وإن كان مسلما فسبب البغض أن كثرة المخاصمة تفضي غالبا إلى ما يذم صاحبه أو يخص في حق المسلمين بمن خاصم في باطلٍ ، ويشهد للأول حديث :

" **كفى بك إثما أن تكون مخاصما** " أخرجه الطبراني عن أبي أمامة بسندٍ ضعيفٍ .

وورد في الترغيب في ترك المخاصمة فعند أبي داود من طريق سليمان بن حبيبٍ عن أبي أمامة رفعه :

" **أنا زعيم ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء " وإن كان محقا** " وله شاهد عند الطبراني من حديث معاذ بن جبلٍ ، والربض بفتح الراء والموحدة بعدها ضاد معجمة الأسفل انتهى .

(الألد) أفعل تفضيلٍ من اللدد وهو شدة الخصومة،

(الْخصِمُ) بِفتْحِ الْخاءِ الْمُعْجمةِ وكسْرِ الصّادِ أيْ الشّدِيدُ اللّددِ والْكثِيرُ الْخُصُومةِ) انتهى بلفظه[1]

ومما ذكره صاحب المستخلص عن الخصومة :

(قال بعضهم : إياك والخصومة فإنها تمحق الدين ، ويقال : ماخاصم ورع قط في الدين .

وقال ابن قتيبة : مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال : مايجلسك ههنا ؟؟

قلت : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، فقال : إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين وأنقص للمروءة ولاأضيع للذة ولاأشغل للقلب من الخصومة ، قال : فقمت لأنصرف فقال لي خصمي : مالك ؟ قلت : لاأخاصمك .

قال : إنك قد عرفت أن الحق لي ، قلت : لاولكن أكرم نفسي عن هذا ، قال : فإني لأطلب منك شيئا هو لك)[2]

<u>الآفة الرابعة والعشرون : الغناء والشعر :</u>

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي ٧/ ٢٩٦ .

(٢) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس ١/ ٣٩٣ .

الغناءُ محرمٌ مذمومٌ كما قال تعالى:

﴿واسْتفْزِزْ منِ اسْتطعْت منْهُمْ بِصوْتِك وأجْلِبْ عليْهِم بِخيْلِك ورجِلِك وشارِكْهُمْ فِي الأمْوالِ والأوْلادِ وعِدْهُمْ وما يعِدُهُمُ الشّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً ﴾ [١]

قال القرطبي في معنى قوله تعالى: (بصوتك) :

(قال ابن عباس رضي الله عنهما : صوته كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى ، وقال مجاهد: الغناء والمزامير واللهو، وقال الضحاك: صوت المزمار)[٢]

وقال تعالى ﴿ ومِن النّاسِ من يشْترِي لهْو الْحدِيث لِيُضِلّ عن سبِيلِ اللّهِ بِغيْرِ عِلْمٍ ويتّخِذها هُزُواً أُولئِك لهُمْ عذابٌ مُّهِين ﴾[٣]

قال ابن كثير رحمه الله : (عن أبي الصهباء: أنه سأل ابن مسعود عن قول الله (ومِن النّاسِ منْ يشْترِي لهْو الْحدِيثِ) قال: الغناء، وكذا قال ابن عباس، وجابر، وعِكْرِمة، وسعيد بن جُبيْر، ومجاهد، ومكحول، وعمرو بن شعيب، وعلي بن بذيمة، وقال الحسن البصري: أنزلت هذه الآية ﴿ ومِن النّاسِ منْ يشْترِي لهْو الْحدِيث لِيُضِلّ عنْ سبِيلِ اللّهِ بِغيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٤] في الغناء والمزامير[٥].

(١) سورة الإسراء: [٦٤] .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٨٨ بتصرف يسير .

(٣) سورة لقمان : [٦] .

(٤) سورة لقمان : [٦] .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٣١ .

أقول : والشعر مكروه مذموم إلا شعراً ينشر التوحيد والإيمان ودعوة الإسلام والخلق الحسن ويدافع عن المظلوم ويقوي عزائم المسلمين لدحر عدوهم كما كان شعر حسان ﷺ وهو المقصود بقوله ﷺ: **(إِنّ مِنْ الشّعْرِ حِكْمَةً)**(١)

تنبيه :

لكن شعر العرب ديوان لغتها والمرجع في فهم ألفاظ العربية لدينا فلذلك اعتنى به العلماء لفهم الكتاب والسنة وليس مذموما بهذا القصد بل تعلمه هنا لازم .

وأما الشعر الذي ينشر الكفر والفسوق والعصيان فهو حرام وفسق وإثم بحسب ألفاظه قال تعالى ﴿**والشُّعراء يتّبِعُهُمُ الْغاوُون ألمْ تر أنّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يهِيمُون وأنّهُمْ يقُولُون ما لا يفْعلُون إلا الّذِين آمنُوا وعمِلُوا الصّالِحاتِ وذكرُوا اللّه كثِيراً وانتصرُوا مِن بعْدِ ما ظُلِمُوا وسيعْلمُ الّذِين ظلموا أي مُنقلبٍ ينقلِبُون**﴾ (٢)

وقال ﷺ :(لأنْ يمتلِئ جوفُ أحدِكُمْ قيْحًا خيْرٌ لهُ مِنْ أنْ يمْتلِئ شِعْرًا) (٣)

قال الحافظ في فتح الباري :

(وقوله " قيحًا " بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها مهملة المدةلا يخالطها دم .

وقوله " شعرًا " ظاهره العموم في كل شعر ، لكنه مخصوص بما لم يكن مدحاً حقا كمدح الله ورسوله وما اشتمل على الذكر والزهد وسائر المواعظ مما لا إفراط فيه، ثم ذكر عن بعض الشراح قولهم :(لكن وجهه عندي أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه ، فأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئًا من الشعر).

(تنبيه) :

مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر أن الذين خوطبوا بذلك كانوا في غاية الإقبال عليه والاشتغال به ، فزجرهم عنه ليقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله تعالى وعبادته ، فمن أخذ من ذلك ما أمر به لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك ، والله أعلم) انتهى باختصار شديد(٤)

---

(١) أخرجه البخاري ك/ الأدب ب / مايجوز من الشعر ١/ ١٠٧١ عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢) سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤ : ٢٢٧ .

(٣) أخرجه البخاري ك/ الأدب ب/ مايكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ١/ ١٠٧٣ رقم ٦١٥٤ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) انظر: فتح الباري ١٧/ ٣٤٩ باختصار يسير .

الآفة الخامسة والعشرون : التقعر في الكلام :

ومن آفات اللسان التقعر في الكلام وتعمد الفصاحة فيه والمبالغة في ذلك فهذا مذموم كما قال ﷺ :(إِنّ اللّه عزّ وجلّ يُبْغِضُ الْبلِيغ مِنْ الرِّجالِ الّذِي يتخلّلُ بِلِسانِهِ تخلُّل الْباقِرةِ بِلِسانِها)[١]

قال شارح الحديث في عون المعبود :

(الْبلِيغ): أيْ الْمُبالِغ فِي فصاحة الْكلام وبلاغته،(الّذِي يتخلّل بِلِسانِهِ): أيْ يأْكُل بِلِسانِهِ أوْ يُدِير لِسانه حوْل أسْنانه مُبالغة فِي إِظْهار بلاغته،(تخلُّل الْباقِرة بِلِسانِها)[أقول: باقرة مفرد من جمع باقركما ذكره الشارح]: أيْ الْبقرة كأنّهُ أدْخل التّاء فِيها على أنّهُ واحِد مِنْ الْجِنْس كالْبقرةِ مِنْ الْبقر واسْتِعْمالُها مع التّاء قلِيل ، قاله الْقارِي ، وفِي الْقامُوس : باقِر وبقِير وبيْقُور وباقُور وباقُورة أسْماء لِلْجمْعِ ، قال فِي النِّهاية : أيْ يتشدّق فِي الْكلام بِلِسانِهِ ويلُفّهُ كما تلُفّ الْبقرة الْكلأ بِلِسانِها لفًّا انْتهى ، وخصّ الْبقرة لِأنّ جمِيع الْبهائِم تأْخُذ النّبات بِأسْنانِها وهِي تجْمع بِلِسانِها ، وأمّا مِنْ بلاغته خُلُقِيّة فغيْر مبْغُوض ، كذا فِي السِّراج الْمُنِير)[٢]

وفي معناه قوله ﷺ **(الحياءُ و العِيُّ شُعبتانِ من الإيمانِ و البذاءُ و البيانُ شعبتانِ من النفاق)**[٣] ، قال الحافظ الترمذي مبيناً غريب هذا الحديث : (والْعِيُّ : قِلّةُ الْكلامِ ، والْبذاءُ : هُو الْفُحْشُ فِي الْكلامِ ، والْبيانُ : هُو كثْرةُ الْكلامِ مِثْلُ هؤُلاءِ الْخُطباءِ الّذِين يخْطُبُون فيُوسِّعُون فِي الْكلامِ ويتفصّحُون فِيهِ مِنْ مدْحِ النّاسِ فِيما لا يُرْضِي اللّه) انتهى كلام الترمذي بلفظه[٤].

الآفة السادسة والعشرون: المزاح :

المزاح القليل الذي لايخرج عن الصدق يكسر حاجز السآمة ويروح عن النفس سُنةٌ من سنن النبي ﷺ يؤجر عليها المسلم لكن كثرة المزاح والكذب في المزاح إثم حذر منه النبي ﷺ بقوله: (ويْلٌ لِلّذِي يُحدِّثُ بِالْحدِيثِ لِيُضْحِك بِهِ الْقوْم فيكْذِبُ ويْلٌ له ويْلٌ لهُ)[٥]

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٤٥٤ رقم ٨٨٠ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/ ٤٤.

(٣) صحيح وضعيف الجامع الصغير ١٢/ ٤٥٩ برقم ٥٥١٢ وصحيح الجامع رقم ٣٢٠١ .

(٤) سنن الترمذي ك/ الأدب ب/ ماجاء في العي ٧/ ٣٢٧ .

(٥) حديث صحيح : صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٣١٥/٥ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

ورغب في ترك الكذب في المزاح بقوله ﷺ: (أنا زعيّم ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء و إن كان ُمحقاً و ببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب و إن كان مازحاً ، و ببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسُن خُلقه)(١)

ومما قاله الحكماء : إن لكل شيئ باباً وبابُ العداوةِ المُزاحُ.

الآفة السابعة والعشرون : كثرة السؤال من غير حاجة شرعية :

قدورد في السنة الذم لكثرة السؤال لغير العلم والأمور النافعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ (آمركم بثلاث و أنهاكم عن ثلاث ، آمركم أن تعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا وتعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا و تطيعوا لمن ولاه الله عليكم أمركم و أنهاكم عن قيلٍ وقالْ و كثرةِ السؤالِ و إضاعةِ المالِ)(٢)

وهذا الخلق الذميم أي كثرة السؤال عما لاينفع في دين ولادنيا مكروه ومنه الاستفصال لشخص معين ويقع عند كثير من العوام يستوقف الشخص فيسأله :

من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ وماذا معك ؟ وماحال فلان ؟ .

تنبيه :

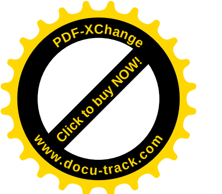
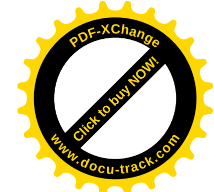
أما أن يسأل المرء عن دينه للعمل والتعلم فهذا أجر وقربة وامتثال لقوله تعالى ﴿ **وما أرسلْنا قبْلك إلاّ رِجالاً نُّوحِي إليْهِمْ فاسْألُواْ أهْل الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تعْلمُون**﴾(٣) و ابن عباس رضي الله عنهما لما سُئل :كيف حصلت هذا العلم ؟ أجاب رضي الله عنهما بقوله : بلسانٍ سؤول وقلبٍ عقُول، وقال بعضُ الحكماءِ: حسنُ السؤالِ نصفُ العلمِ والاقتصادُ نصفُ الغنى والتوددُ إلى الناسِ نصفُ العقل، وهذا آخر مايسر الله لي جمعه عن نعمةوو ظيفة اللسان وآفاته أسأل الله جلت قدرته بكل اسم هو له أن يتقبله مني وأن ينفع به كل قارئ وأن يثيبني عليه في الحياة وبعد الممات، وأن يجعله لي من الباقيات الصالحات إنه قريب مجيب الدعوات .

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٧٢/١ رقم ٢٧٣ عن أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٨٤ رقم ٦٨٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

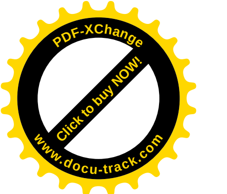
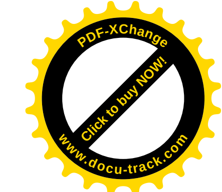
(٣) سورة الأنبياء :[٧] .

وقد أتممت كتابة سطوره هذه يوم الجمعة العاشر من شهر محرم الحرام ١٤٢٩هـ الموافق ١٩/ ١/ ٢٠٠٨م بصنعاء اليمن حرسها الله، وصلى الله وسلم على نبينا الأكرم وآله الطاهرين وصحابته أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

- جامع الترمذي- تأليف: الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الناشر: بيت الأفكار الدولية - الأردن - عمان - ٢٠٠٤م .
- الجامع لأحكام القرآن- تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب- تأليف: السيد أحمد الهاشمي- الناشر: دار الفكر – بيروت – لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
- زاد المسير في علم التفسير- تأليف: الإمام أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي- الناشر: المكتب الإسلامي - دار ابن حزم بيروت – لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة- تأليف: العلامة محمد ناصر الدين الألباني- الناشر: مكتبة المعارف - الرياض - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
- سنن أبي داود - تأليف: سليمان بن الأشعث السجستاني- الناشر: بيت الأفكار الدولية - ٢٠٠٤م - الأردن - عمان .
- صحيح البخاري - تأليف: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري- الناشر: دار الفيحاء –دمشق - دار السلام – الرياض- الطبعة الثانية - ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته - تأليف: العلامة محمد ناصر الدين الألباني- الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة الثانية - بيروت – دمشق ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- تأليف: القاضي محمد ابن علي الشوكاني الناشر: مؤسسة الريان- بيروت - لبنان- الطبعة الثالثة - ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- تأليف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- الناشر: دار المعرفة - بيروت لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
- المستخلص في تزكية الأنفس- تأليف: سعيد حوى - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الخامسة - ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

- الموسوعة الشاملة الإصدار الثاني (قرص مدمج).
- موسوعة جسم الإنسان - دار الإسراء - جبل عمان - الأردن الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .




o السيرة الذاتية للمؤلف



o البطاقة الشخصية:

- الدكتور /عبد الواسع يحيى محمد مرشد المَعْزَبي .
- مكان وتأريخ الميلاد :إب- الجمهورية اليمنية ١٩٧٣م.
- الحالة الاجتماعية : متزوج وأب لخمسة أطفال .

o المؤهلات العلمية:

- حصل على البكالوريوس في العلوم الشرعية والعربية عام ١٩٩٨م بتقدير جيد جدا .
- حصل على الماجستير عام ٢٠٠٤م بتقدير جيد جدا ، وكانت الرسالة بعنوان (تحقيق وتخريج أحاديث سورة الإسراء من تفسير الطبري) بإشراف د/ عبد الرحمن الخميسي.
- حصل على درجة الدكتوراه بتقدير(ممتاز مع التوصية بالطبع) في السنة وعلوم الحديث بتأريخ ٢٠١١/١/٣١م من جامعة أم درمان الإسلامية وعنوان الرسالة(زيادات ومفردات أبي الشيخ في كتاب العظمة على الكتب الستة) إشراف أ. د محمد موسى حماد .
- يحفظ القرآن كاملا برواية حفص عن عاصم .

o يحمل عدد من الإجازات العلمية، منها:

- الإجازة العمرانية في الفقه والقضاء والفتوى(من القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني).
- إجازة في علوم اللغة وأصول الفقه من الشيخ العلامة/ محمد المختار الشنقيطي.
- إجازة عامة من الشيخ العلامة/ محمد بن الحسن الددو الشنقيطي.
- إجازة من الشيخ العلامة المحدث الفقيه تلميذ الشيخ الألباني/ محمد بن يوسف حربة، في الحديث وعلومه، وأصول الفقه.
- إجازة الشيخ العلامة/ قاسم بن إبراهيم البحر عالم الفقه والفرائض.

o تلقى العلم عن كوكبة من أهل العلم منهم:

- الدكتور حسن مقبول الأهدل نائب رئيس جامعة صنعاء سابقا.
- الاستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان صاحب كتاب المفصل وغيره من المصنفات القيمة .
- الاستاذ الدكتور عبد الوهاب الديلمي وزير العدل السابق.
- الدكتور عبد الرحمن الخميسي رئيس قسم الحديث بجامعة صنعاء وكان مشرفا على رسالتي للماجستير.
- الدكتور حيدر بن أحمد الصافح.
- الاستاذ الدكتور حسن إمام عبد المجيد من جمهورية السودان.

وغيرهم من أعلام اليمن وعلماءها أمثال:

- الشيخ المفسر علي بن عبد الله العديني الذي لازم الشيخ عبد العزيز بن باز خمسة عشر عاما .

- القاضي المفتي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني الذي يدرس كتب الشوكاني منذ سبعين عاما وأمسك مناصب كبيرة في القضاء ، وفتاواه مشهورة في البلاد اليمانية على الطريقة الشوكانية.
- الشيخ المحدث عبد الله بن محمد الحاشدي من كبار تلاميذ الشيخ العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي.
- الفقيه الفرضي الشيخ قاسم بن إبراهيم بحر من علماء تهامة وزبيد.

o **التاريخ الوظيفي الأكاديمي:**

- عُين مدرسا في جامعة الإيمان منذ عام ٢٠٠٤م.
- تولى تدريس مادة مصطلح الحديث وكتاب صحيح مسلم ضمن مقررات الجامعة.
- تولى تدريس كتاب فتح القدير في التفسير للعلامة الشوكاني، و تفسير ابن كثير ،وكتبا أخرى ضمن مقررات الجامعة.

o **مهارات أخرى:**

- درسَ مجموعة من الدورات في التنمية البشرية وطرق التدريس ودورات الكمبيوتر .
- قام بتدريّس سُلّم كتب النحو والصرف والبلاغة في حلقات علمية مسجدية .
- يمتلك – بفضل الله وحده - مهارة تبسيط أي مادة علمية يقوم بتدريسها.
- دَرَسَ عددا من مواد الإعلام الإسلامي كالعلاقات العامة والرأي العام ومهارات الإتصال والتلفزيون والصحافة وشارك في بعض البرامج التلفزيونية الدينية.
- شارك في ندوات ومؤتمرات في اليمن .
- يمتلك مهارة في تأويل الرؤيا .

o **كتيبات وأبحاث :**

- أطيب الكلام في فوائد القيام .مطبوع .
- تسديد اللسان وهو هذا الكتاب.مطبوع .
- مكانة النبي ﷺ ، بحث مقدم في ندوة دورية بصنعاء الدورة الثانية.
- قوله تعالى(والبحر المسجور)وحديث(إن تحت البحرنارا) دراسة في التفسير واللغة والحديث مع المقارنة بالحقائق العلمية ، بحث منشور على موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الانترنت.
- رقم الإيميل (aaaayy٥٠@hotmail.com).